



المكتبة العامة لندوة العلماء  
مكتبة الشريعة تأسست في سنة ١٣٤٠ هـ  
مدرسة العلماء - كراتشي - الهند

نام منصف	نام كتاب	نمبر
	البعث الإسلامي مولانا سعيد الرحمن الاعظمي	٤٣٥٩ ١١٢٠ ١١
دستخط	١٩٩٠ م	ف جاء



شہادۃ اہل الحق والاسلام من قبل

۷۳۵۹  
۱۱۲۰۱۱  
۱۳۱۶ھ

# الصحافة والنشر

العدد الاول - المجلد ۲۵  
رمضان ۱۴۱۰ھ - ابريل ۱۹۹۰م



مدرسة الصحافة والنشر  
ندوة العلماء - ص. ب. ۹۳ کناؤ (الہند)



نداء إلى قرائنا الكرام



الاشتراكات السنوية :

★ في الهند : ستون روبية

ثمان النسخة ست روپيات .

★ في العالم العربي وفي جميع

دول العالم .

١٨ / دولاراً بالبريد العادي ،

و ٢٥ / دولاراً بالبريد الجوي .

نحمد الله سبحانه وتعالى على أنه وفقنا لافتتاح  
المجلد الخامس و الثلاثين من مجلتكم الحبيبة  
و نرجوه تعالى أن يكرمنا بالثبات و الاستقامة  
و الصمود في هذه الجبهة الدقيقة التي نريد أن  
نكون فيها مرابطين على الثغر و نودی واجبنا  
- بتوفيق من الله تعالى - بكل ما نستطيعه  
من قوة و إخلاص و همة عالية و بدافع من  
الولاء الكامل للإسلام .

و بالمناسبة نرجو منك - أيها القارىء

الكريم - أن تشعر ببعض واجبك نحو مجلتك

و تطوع ببذل شيء من وقتك و مالك في سبيلها

و ذلك بتوفير اشتراكات و كسب عدد من القراء

أو إشاء وكالة لها في بلدك و مجتمعك الذي

تعيش فيه ، أو بأى طريق مما تراه مفيداً للجنة ،

فسيكون ذلك تعاوناً كبيراً منك في سبيل دعم

الكلمة و نشر العقيدة و تأييد الحق ، و تشجيعاً منك

لاخوة لك في العقيدة و الدين ، يعيشون معك

على طول الخط على بعد الديار و تنائي الأمصار .

نرجو أن لا يفوتك الاهتمام بهذا الموضوع

الإسلامي المهم ، و اتصل بنا على عنوان المراسلات !

و جزاؤك على الله الذي لا تنفذ خزائنه .

\*\*\*\*\*

عنوان المراسلات :

\*\*\*\*\*

مكتب البعث الإسلامي ،

مؤسسة الصحافة و النشر

ندوة العلماء ص . ب ٩٣

لكناؤ ( الهند )

ALBAAS - EL - ISLAMI  
C/o. NADWAT UL ULAMA  
P. O. Box : No. 93.  
Lucknow. ( INDIA )

★ المجلة لا تقيد بكل فكر

لكل كاتب ، ينشر فيها .



٤٣٥٩

١١٢٠١١

أنشأها:

١٩١٦

فَقِيرُ الرَّحْمَةِ لِلَّهِ سَلَامٌ عَلَى سَائِرِ الْمُرْسَلِينَ الْحَسَنِيِّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م

# المعهد الإسلامي

رئاسة التحرير

سيد محمد الأحمدي النذوي

واضع رتبته النذوي

★ العدد الأول

★ المجلد الخامس والثلاثون

★ رمضان ١٤١٠هـ

★ إبريل ١٩٩٠م

المراسلات

البعث الإسلامي ، مؤسسة الصحافة و النشر ، ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama  
P. O. Box 93, Lucknow (INDIA)

تحديات حضارية ، و كيف نواجهها ؟

إذا تدبنا التحديات الحضارية التي نعيشها اليوم في مجالات الحياة المختلفة أدركنا أن أبعادها الواسعة المتعمقة الجذور تحيط بمستقبل الانسان على اختلاف البيئات و الاتجاهات ، و الأجواء الاجتماعية و الفكرية على السواء ، و الذي يزيد من أهمية هذه التحديات هو أنها لا تتحدى الفكر الانساني المحدود ، و المنعزل في دائرة ضيقة من العادات الوطنية و القومية فحسب ، بل إنها تفرض وجودها على الحياة الانسانية العامة ، من غير تقييد بالمجتمع و التقاليد أو الأيدولوجيات ، فمثلا كان هناك نوع من الخوف الغير المرئي يساور النفوس أول ما تم اختراع الطائرة للركاب ، و لكنها سرعان ما تحوالت إلى حاجة بشرية في سرعة الاتصالات ، و انزواء المسافات ، مما كان له أثره البعيد المدى في توفير الوقت و الطاقات .

و فعلا قام العلم الحديث بدور كبير جداً في توسعة نطاق هذه التحديات ، و أوقف الانسان المعاصر على مفترق الطرق لكي يحتبزه في اتباع الصراط المستقيم من بين السبل التي تتفرق به عن السبيل القويم ، ذلك أن كثيراً ممن لم يتبين لهم الحق ضلوا المسار الصحيح و انحرف بهم الاتجاه المضاد عن التفكير في واقع الحياة و الانسان و الكون ، و لم يعد لهم إلا الضلال و التيه و إلا التسكع في متاهات لا نهاية لها ، و ما ذاك إلا لأنهم قد أحلوا العلم محل الاله الواحد القهار ، و ربطوا به كل إبداع و تقنية و اعتبروه مصدر كل قوة و سعادة في

٣ ★ **الافتتاحية** : تحديات حضارية ، و كيف نواجهها ؟  
سميد الأعظمي

١٠ ★ **التوجيه الاسلامي** : معالي الشيخ راشد عبد الله الفرحان  
١٦ علاقة العلم الانساني بالاسم الرباني سماحة الشيخ سيد أبي الحسن علي الحسن الندوي  
٢٢ لغزو الثقافي الغربي و ضرورة مقاومته الأستاذ محمد الرابع الحسن الندوي

٢٨ ★ **الدعوة الاسلامية** : أزمة حضارة ... فما هو الحل ؟ الأستاذ الحسن بن إبراهيم سكتفل  
٣٥ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن الدكتور توفيق محمد شاهين

٤٢ ★ **دراسات و أبحاث** : معاناة الأقليات المسلمة الدكتور محمد بن سعد الشويهر  
٥١ المجتمع الاسلامي عبر التاريخ الدكتور عبد الحلیم عويس

٦٠ ★ **دراسة في أصول الحديث** : علم الجرح و التعديل الأستاذ سلمان الحسيني قندوي

٧٠ ★ **من كتب المراجع التي صدرت حديثاً** : المغرب للجواليقي الدكتور ف ، عبد الرحيم

٧٨ ★ **من أدب المدائح النبوية** : كشف لغمة في مدح سيد الأمة ، ليارودي دكتور غريب جمعة ( القاهرة )

٨١ ★ **الأدب الاسلامي** : دور الأدب الاسلامي في الحروب الصليبية الدكتور عدنان علي رضا الدعوي

٨٧ ★ **الفقه الاسلامي و المشكلات الحديثة** : مد الذرائع الأستاذ القاضي مجاهد الاسلام القاسمي

٩٣ ★ **صور و أوضاع** : المستقبل للدين واضح رشيد قندوي

٩٦ ★ **جولة في مدارس الهند** : مؤتمر تعليمي في الجامعة المحمدية بمالينغاون قلم التحرير

٩٧ في جامعة كاشف العلوم أورنغ آباد  
٩٨ جامعة سراج العلوم بونديهار  
٩٩ الجامعة الاسلامية في مدينة بانكل بولاية كرناتاكا

جميع الاحوال و الظروف ، و ذلك مبلغهم من العلم ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن امتدى .  
 إن تحديات العلم الحديث اليوم غيرها بالامس ، و هي ذات تأثير عميق و سريع في العقول الفجة لمن ليس لهم حظ من التفكير السليم ، وهم ينجر فون مع كل تيار و ينصبغون بكل صبغة ، و يدورون مع الزمان حيثما هو دائر ، و لقد وقع كثير من جماهير المسلمين و من لم يرزقوا العقل المفكر ، فريسة الانحراف و الضلال لمجرد أنهم تذاوبوا أمام الابداعات العلمية و ظنوها ثمرة يانعة للعلم وحده ، و هنالك نسوا الله و ربما أنكروه ، و جعلوا العلم إلهاً لهم ، بله أن تملأ فكرة الاله الحقيقي جوانحهم ، و تشغل جوانب نفوسهم ، و يتبين لهم الحق واضحاً صريحاً ، ذلك الذي أراد الله سبحانه للانسان كشمرة جنية له حيث يقول :  
 سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد .

لقد مكن الله سبحانه الذين ركزوا جهودهم على دراسة الطبيعة و تفجير طاقات الكون ، من الانطلاق في مجالات الابداع العلمي و التقني فسخر لهم الطاقات الكونية و وفر لهم من الوسائل و القوى ما يساعدهم على الاتساع في هذا المجال و التسامى إلى أعلى الهمم و المثابرة على البحث و الدراسة و التحقيق ، فقد كان إبداع العقول الالكترونية و الأنواع المنوعة من الكمبيوتر مثلاً ، نتيجة لهذا التمكين في المجال العلمي ، و قد تم استخدامها في تسهيل الحياة و تيسير الشؤون الحضارية المعقدة ، و توفير الجهود و الطاقات و الزمن ، مع الاتقان الكامل في أداء المسؤولية و إنجاز الأعمال المهمة ، فكان ذلك داعياً إلى الايمان بالله العزيز العليم الذي خلق السماوات و الأرض و الشمس و القمر و النجوم و جعل الليل و النهار و أودع في كل ذلك آيات باهرة على وحدانيته ، للذين يتفكرون فيها و يتذكرون ،

و لقد صرح الله تعالى بذلك في كتابه العظيم قائلاً : تبارك الذي جعل في السماء بروجاً و جعل فيها سراجاً و قرراً منيراً ، وهو الذي جعل الليل و النهار خلفته لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً .

ولا يزال الله سبحانه و تعالى يريهم من آياته في الآفاق و الانفس على أيديهم ، و يوفقهم إلى التعمق في أسرار الكون و التوصل إلى خفايا النفس و الاطلاع على العجائب المدهشة مما يثير في القلب عواطف الايمان و اليقين و يوطد العلاقة بالله العلي العظيم ، أفليست الابداعات العلمية الاخيرة ثورة كبيرة في عالم الاختراع و تحويل هذا الكوكب الأرضي إلى كرة قدم فحسب ، لا يكاد يخفى أو يغمض أي جزء منها على من يشاهدها و يقلبها بكفيه ، و بينما كان اختراع التلفاز و نقل صورة المتكلم مع صوته و كلامه و إيماءاته الكاملة من وراء البحار السبعة و من أقصى العالم إلى أقصاه من غير تأخير ثانية واحدة ، ثورة واسعة في عالم الصناعات و الاختراعات العلمية إذا بالهاتف الذي يقوم بطبع الرسائل و الكتابات و نقل صورها في نفس اللحظة عبر مسافات العالم البعيدة و الذي أصبح اليوم في متناول أيدي الناس و عم استخدامهم في المؤسسات و الدوائر العامة باسم ( Fax Service ) و صار علامة بارزة للحضارة الانسانية اليوم ، وهو لا شك يبعث الايمان بالله خالق الأكوان و جاعل الآيات في كل شيء مما يوشر إلى قوته الخارقة الخالقة و المبدعة .

و فضلاً عن أن يتحدى التقدم العلمي الهائل العقول المريضة و الأوساط العائشة في تحرر بغيض عن الأخلاق و القيم الایمانية ، و يمهدها الطريق نحو الاهتمام إلى الفطرة ، و السعادة و الأمن و الهدوء ، إنما يسبب في شدة ضلالها و يؤدي إلى خروجها عن مصاف أولى الالباب ، الذين يفتشون عن آيات الله في الخلق و الكون و يبحثون عن النظام الدقيق الذي أودعه الله فيهما ، فيزيدهم

إيماناً ، يشهد بذلك كتاب الله عزوجل بقوله : إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً و على ربهم يتوكلون ، إن هذه التحديات الحضارية يواجهها المسلم بجنة من الإيمان و التدبر ، و يستعرضها في ضوء الواقع و العلم و يتخذها ذريعة للتوصل إلى حقيقة الاله التي تتوارى وراء الكائنات كلها ، إنه يعتبرها وسيلة للاقتناع بوجوده و إبداعه و قدراته الهائلة التي تعمل في كل ذرة من الحياة و الكون ، و يرفض كل تفكير باطل يؤدي إلى الكفر و الضلال ، ويدعو إلى اتخاذ الآلهة الباطلة من القوى المادية ، سواء كانت قوة المال والحكم ، أو قوة العلم و الإبداع ، أو قوة الحديد و النار ، أو لمعان الأفكار و النظرات أو جاذبية الأهل و الأولاد أو زخارف الحياة الدنيا ، و متاعها القليل ، إنه يعتبر العلم أقوى وسيلة لحشية الله و تقواه و الاتصال به ، و لا ينفك للحظة واحدة عن التدبر في الآيات و الألوان ، و في الحياة و الانسان ، و في السماوات و الأرض و في الجبال و الدواب و الأنعام « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ، و من الجبال جدد بيض و حمر مختلف ألوانها ، و غرايب سود ، و من الناس و الدواب و الأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله عزيز غفور ، » .

من خلال هذا المقياس ينظر المؤمن العالم إلى كل إبداع علمي مهما كان هائلاً ، و إلى كل انتصار كوني ، و إن كان يقطع من العظمة و الندرة شأواً واسعاً بعيداً ، إنه يستنبط من كل ذلك نتائج بعيدة المدى في مجال الإيمان بالله ، و الثقة بأفضلية الانسان الذي رزقه الله العقل المبدع ، و القلب المفكر ، و البصيرة النافذة في القضايا الانسانية و الكونية ، إنه يكذب أسطورة الفلاسفة المادية التي تمنى الانسان بالمستقبل السعيد في الدنيا و الحاضر الرفيه فيها ، و تعده بالترف

و النعيم و اللذات من كل نوع ثم لا تأتي بشيء ، و إن أكثر الفلاسفة المادية التي لعبت دوراً بارزاً في تضليل الانسان و العبث بمقدراته و كفاءاته إنما هي فلسفة الاشتراكية العلمية التي اغتربها الناس و جربوها إلى سبعة عقود من السنين ولكنها أسفرت بالانهيار و الاخفاق التام ، و فقدت جميع اعتباراتها في أعين الناس فرموها بكل حقارة و ازدراء .

ليست هي قصة الشيوعية اليوم فقط ، إنما هي قصة جميع المقاييس الزائفة لاسعاد الحياة و المستقبل التي أقامتها النظرات المادية و دعائها القاصرون ، و قد يغتر من لا يتعمق في التفكير ، و يدرس الأوضاع المادية ذات الأشكال و الألوان الجميلة من قشورها الظاهرة ، فيقيم لها بعض الأهمية في تقييم الحياة و تعيين مصيرها و ربطه بالحياة الآخرة ، و رغم أن الانسان لا يكاد يستغنى عن المادة و إعطاء الجسم حقه إلا أن اختلال التوازن بين تزويد الجسم بالزاد المادي و تغذية الروح بغذاء الإيمان ، و عدم توافر المقارنة الصحيحة بينهما يجر إلى فساد كبير في الاستفادة من منابع الخير و السعادة في كل مجال من مجالات الحياة العامة و الخاصة ، و ذلك هو موطن الداء في جسم الأمة ، التي تفكر مثل هذا التفكير ، و تنمى المادة على حساب الروح أو العكس ، ذاك أن الانسان المؤمن لا يتكامل وضعه ولا عمله ، و لا يتميز مركزه في الحياة مالم تتضح رؤيته نحو الجمع الصحيح بين الروح و المادة ، و بين العقل و القلب .

إن تنمية العقل على حساب القلب اختلال كبير في الميزان ، و الإصرار على ذلك لمهما يفتح في المجتمعات البشرية أبواب الفساد على مصاريعها ، و يسمح للاتجاهات المضادة باقتراس العقول الفجة ، و الاستيلاء على شباب الأمة لكي تحدث فيهم ثورة على القيم الايمانية ، و كراهية شديدة ضد الأخلاق النزيهة ، و تتركهم هملاً رعاءاً لا يراعون إلا و لازمة ، و لا يتقيدون بقيود

الطهر و العفاف و النزاهة ، و يمارسون الشهوات و ينطلقون في المحرمات ، لا وازع يمنهم و لارادع يردعهم ، و لاراعى يرعاهم و يهتم بتربيتهم ، الواقع الذي يعيشه كثير من شباب الامة اليوم و يتبادى ، فيه تقليداً لمن يراهم من شباب الانحراف و الزيف و الفساد في العالم كله ، و اتباعاً للاغراءات الشهوانية التي تسود المجتمعات الشبابية نتيجة للوسائل الحضارية الاغرائية المستثيرة للفرائز الجنسية من الافلام العارية و المسلسلات الهدامة للقيم الخلقية ، و البرامج الاعلامية المدمرة لعواطف الطهر و النزاهة و العفة .

هل كان الابداع الحضارى و الاكتشاف العلمى و التقدم في المجالات الصناعية و الاجتماعية و توفير الوسائل للتسهيلات الحيوية مما يضاد طبيعة الدين و الايمان ؟ كلا ! بل الواقع أن هذه الاشكال كلها من الظواهر البناءة و الحاجات الانسانية ، التي يتطلع إليها الانسان في بناء المستقبل اللامع ، ولكن سوء التصرف في استعمال الوسائل الحضارية و توجيه وجوه الابداعات العلمية من البناء إلى الهدم ، قام بتمثيل دور هدام للقيم و الاخلاق ، و غطى الحياة الانسانية باشقاء و الفساد بأبشع أشكالهما ، و ذلك ما قد يعبر عنه بعض الناس بالتحديات الحضارية .

و لكن المسؤولية إنما تقع علينا في تصحيح مسار التصرفات الخاطئة و توجيه استخدام الوسائل العلمية و الحضارية نحو تسهيل الحياة و ترفيه المجتمعات ، و العودة بالانسان إلى التدبر في هذه الآيات و توطيد صلته بمصدر القوة و السعادة و الايمان ، حتى يقف العلم من الحياة و المجتمع موقف البناء و التعمير و يكون داعياً إلى الجمع بين سعادتي الدين و الدنيا ، و بين حسني الأولى و الآخرة .

و هكذا نستطيع أن نواجه هذه التحديات الحضارية ونحوها من وجهة الشر إلى وجهة من الخير و من طاقة للهدم إلى قوة لبناء الانسان الصالح .

و الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم  
سعيد الأعظمي

# التوجيه الإسلامي

و العلم يدخل إلى الانسان من ثلاثة أبواب ، من سمعه و بصره و قلبه ،  
و قد سدت عليهم هذه - الأبواب الثلاثة ، فسد السمع بالصمم ، و البصر  
بالعمى ، و القلب بالبيكم ، و قد جمع سبحانه بين الثلاثة بقوله في سورة الاحقاف  
الآية (٢٦) .

( و جعلنا لهم سمعاً و أبصاراً و أفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم  
ولا أفئدتهم من شئ إذ كانوا يجحدون بآيات الله ) .

و هؤلاء الكفار و المنافقون الذين يتكلم عنهم القرآن في الآية ، ليسوا  
صماً و بكماً و عمياً حقيقة في الأصل ، و لكنهم جعلوا من أنفسهم كالأصماء فلا  
يسمعون ما يقال لهم من الحق سماع قبول ، و خرس عن الخير فلا يقولونه ،  
و عمى عن طريق الهدى فلا يرونه ( فهم لا يرجعون ) عن الضلالة باختيارهم  
لها ، و كسبهم و كفرهم و عصيانهم و عنادهم الذي أصروا عليه ، فعاقبهم الله  
بجنس اختيارهم و استحقوا أن يوصفوا بهذه الأوصاف .

قال الله تعالى في سورة التوبة : الآية : ١٢٨ .

( و إذا ما أنزات سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم

انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ) .

قال ابن قيم الجوزية في تفسير الآية : أخبر سبحانه عن فعلهم وهو الانصراف  
و عن فعله فيهم وهو صرف قلوبهم عن القرآن و تدبره لأنهم ليسوا أهلاً له  
فالمحل غير صالح ولا قابل فان صلاحية المحل بشيئين : حسن فهم و حسن قصد ،  
و هؤلاء قلوبهم لا تفقه و قصودهم سيئة ، و قد صرح سبحانه بهذا في قوله (ولو  
علم الله فيهم خيراً لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ) فأخبر سبحانه عن  
عدم قابلية الايمان فيهم و أنهم لا خير فيهم يدخل بسببه إلى قلوبهم فلم يسمعهم

تفسير مشكل القرآن :

## الصم و البكم و العمى و الوقر

بقلم : معالي الشيخ راشد عبد الله الفرحان  
الكريت

قال الله تعالى في سورة البقرة الآية (١٨) .

( صم بكم عمى فهم لا يرجعون ) .

الاصم : هو الذي لا يسمع إذا ناديته ، قال ابن عباس : في آذانهم صمم  
عن استماع القرآن وهو عليهم عمى ، أعمى الله قلوبهم فلا يفقهون ، أولئك ينادون  
من مكان بعيد مثل البهيمة التي لا تفهم إلا دعاء و نداء ، و قال مجاهد : بعيد  
عن قلوبهم ، كأنما ينادون من السماء فلا يسمعون ، و المعنى : أنهم لا يسمعون  
ولا يفهمون ، كما أن من دعى من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم .

البكم : جمع أبكم وهو الذي لا ينطق ، و البكم نوعان : بكم القلب و بكم  
اللسان ، كما أن النطق نطقان ، نطق القلب ، و نطق اللسان ، و أشد هما بكم  
القلب ، فاذا بكم القلب بكم اللسان .

العمى : جمع أعمى وهو الذي لا يبصر ، و هؤلاء أعمى الله قلوبهم فلا يفقهون .

قال الله تعالى في سورة فصلت الآية (٤٤) .

( و الذين لا يؤمنون بالآخرة في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك  
ينادون من مكان بعيد ) .

الوقر : هو الثقل ، وهو الصمم في آذانهم فلا يسمعون القرآن ، ولا يفهمون  
معانيه ، و لذلك كأنهم ينادون من مكان بعيد ، إذا قرئ عليهم القرآن .

سماع إفهام يتفهمون به و إن سمعوه سماعاً تقوم به عليهم حجته ، فسماع الفهم الذي سمعه به المؤمنون لم يحصل لهم ، ثم أخبر سبحانه عن مانع آخر قام بقلوبهم يمنعهم من الايمان لو أسمعتهم هذا السماع الخاص ، وهو الكبر والتولى والاعراض ، فالأول مانع من الفهم ، و الثاني مانع من الانقياد و الاذعان ، فأفهام سيئة وقصود رديئة ، وهذه لسخة الضلال وعلم الشقاء كما أن لسخة الهدى وعلم السعادة فهم صحيح وقصد صالح ، وتأمل قوله سبحانه ( ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ) كيف جعل هذه الجملة الثانية سواء كانت خبراً أو إعادة عقوبة لانصرافهم فعاقبتهم عليه بصرف آخر غير الصرف الأول فان انصرفهم كان لعدم ارادته سبحانه ومشيتته لاقبالهم لانه لاصلاحية فيهم و لا قبول فلم ينلهم الاقبال و الاذعان فانصرفت قلوبهم بما فيها من الجهل و الظلم عن القرآن فجازاهم على ذلك صرفاً آخر غير الصرف الأول كما جازاهم على زيغ قلوبهم عن الهدى إزاعة غير الزيغ الأول كما قال ( فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ) و هكذا إذا عرض العبد عن ربه سبحانه جازاه بأن يعرض عنه فلا يمكنه من الاقبال عليه ، ولتكن قصة ابليس لما عصى ربه تعالى ولم ينقد لأمره و أصر على ذلك عاقبه بأن جعله داعياً إلى كل معصية فعاقبه على معصيته الأولى بأن جعله داعياً إلى كل معصية و فروعها صغيرها وكبيرها ، و صار هذا الاعراض و الكفر منه عقوبة لذلك الاعراض و الكفر السابق فمن عقاب السيئة السيئة بعدها كما أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها .

فان قيل فكيف يلتم انكاره سبحانه عليهم الانصراف و الاعراض عنه و قد قال تعالى ( فاني يصرفون ، و أنى يؤفكون ، و قال ) فما لهم عن التذكرة معرضين ) فاذا كان هو الذي صرفهم وجعلهم معرضين و مأفوكين فكيف ينفي

ذلك عليهم ، قيل هم دائرون بين عدله و حجته عليهم فمكنتهم وفتح لهم الباب و نهج لهم الطريق و هيا لهم الاسباب فأرسل رسله و أنزل عليهم كتبه و دعاهم على السنة رسله و جعل لهم عقولا تميز بين الخير و الشر و النافع و الضار و اسباب الردى و اسباب الفلاح و جعل لهم أسماعاً و أبصاراً فأثروا الهوى على التقوى و استحبوا العمى على الهدى و قالوا معصيتك آثر عندنا من طاعتك و الشرك أحب إلينا من توحيدك ، و عبادة سواك أنفع لنا في دنيانا من عبادتك ، فأعرضت قلوبهم عن ربهم خالقهم و ملكهم و انصرفت عن طاعته و محبته فهذا عدله فيهم و تلك حجته عليهم فهم سدوا على أنفسهم باب الهدى إرادة منهم و اختياراً فسدده عليهم اضطراراً بخلافهم و ما اختاروا لأنفسهم و ولاهم ما تولوه و مكنتهم فيما ارتضوه و أدخلهم من الباب الذي استبقوا إليه و أغلق عنهم الباب الذي تولوا عنه وهم معرضون ، فلا أقبح من فعلهم ولا أحسن من فعله ولو شاء لخلقهم على غير هذه الصفة ولأنشأهم على غير هذه النشأة و لكنه سبحانه خالق العلو و السفلى و النور و الظلمة و النافع و الضار و الطيب و الخبيث و الملائكة و الشياطين و الشاء و الذباب و معطيها آياتها و صفاتها و قواها و أفعالها و مستعملها فيما خلقت له فبعضها بطباعها و بعضها بارادتها و مشيقتها ، و كل ذلك جار على وفق حكمته وهو موجب حمده و مقتضى كاله المقدس و ملائكة التام ، ولا نسبة لما عليه الخلق من ذلك إلى ما خفي عليهم بوجه ما ، إن هو إلا كمنقرة عصفور من البحر (١) .

الاركاس

قال الله تعالى في سورة النساء الآية (٨٨) .

( فما لكم في المنافقين فئتين و الله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من

(١) شفاء العليل ص ٩٧ .

أضل الله و من يضل الله فلن تجده سبيلا .  
ركست الشئ و أركسته لغتان إذا رددته ، و الركب قلب الشئ على رأسه ،  
أو رد أوله على آخره ، و الاركاس الارتداد ، و من هذا يقال للروث الركب ،  
لأنه رد إلى حال النجاسة ، و الركب و التكبس و المركوس و المنكوس بمعنى واحد .  
و المعنى : أركسهم أى ردهم إلى الكفر ، قاله الفراء ، و قال الزجاج :  
أركسهم تكسهم و ردهم ، أى ردهم إلى حكم الكفار من الذل و الصغار ، وأخبر  
سبحانه عن حكمه و قضائه فيهم و عدله ، و إن كان إركاسه لهم كان بسبب  
كسبهم و أعمالهم كما قال في سورة المطففين الآية (١٤) ( كلا بل ران على قلوبهم  
ما كانوا يكسبون ) .

### الخذلان

قال الله تعالى في سورة آل عمران الآية ( ١٦٠ ) .

(إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده) .  
و أصل الخذلان الترك و التخلية و يقال للبقرة و الشاة إذا تخلفت مع  
ولدها فى المرعى و تركت صواحباتها ، خذول ، قال محمد بن اسحاق فى هذه الآية :  
إن ينصرك الله فلا غالب لك من الناس ، وإن يضرك خذلان من خذلك ،  
و إن يخذلك فلن ينصرك الناس ، أى لا تترك أمرى للناس و ارفض الناس  
لأمرى ، و الخذلان أن يخلى الله تعالى بين العبد و بين نفسه ، و يكفه إليها ،  
و التوفيق ضده لا يدعه و نفسه ، و لا يكفه إليها بل يصنع له و يلطف به ،  
و يعينه و يدفع عنه و يكلؤه كلاءة الوالد الشفيق للولد العاجز عن نفسه ، فمن  
خلى بينه و بين نفسه فقد ملك كل الملاك ، و لهذا كان من دعائه ﷺ : « يا حى  
يا قيوم يا بديع السموات و الأرض يا ذا الجلال و الاكرام ، لا إله إلا أنت ،

برحمتك أستغيث أصلح لى شأنى كله ، و لا تكن لى نفسى طرفة عين ، و لا  
للى أحد من خلقك ، فالعبد مطروح بين الله و بين عدوه إبليس ، فان تولاه الله لم  
يظفر به عدوه و إن خذله و أعرض عنه افترسه الشيطان كما يفترس الذئب الشاة ،  
و لعمر الله إن الشيطان ذئب الانسان كما قاله الصادق المصدوق و لكن لم يجعل  
الله لهذا الذئب اللعين على هذه الشاة سلطانا مع ضعفها ، فاذا أعطت بيدها  
و سلمت الذئب و دعاها فلبت دعوته و أجابت أمره و لم تتخلف بل أقبلت نحوه  
سريعة مطيعة و فارقت حمى الراعى الذى ليس للذئب عليه سبيل و دخلت فى  
محل الذئب الذى من دخله كان صيدا لهم ، فهل الذئب كل الذئب إلا على  
الشاة ، فكيف و الراعى يحذرهما و يخوفها و يندرها و قد أراها مصارع الشاة التى  
انفردت عن الراعى و دخلت وادى الذئاب ، و قد حذر الله سبحانه ابن آدم  
من ذئبه مرة بعد مرة ، وهو يأبى إلا أن يستجيب له إذا دعاه ، و يبيت  
معه و يصبح .

( و قال الشيطان لما قضى الأمر أن الله و عدكم وعد الحق و وعدتكم  
فأخلفتكم و ما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى  
و لوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم ، و ما أتم بمصرخى ، إني ككفرت بما  
أشركتمون من قبل ، إن الظالمين لهم عذاب أليم ) ( ١ ) .



سفر الانسان عن تعاليم خالق الكون ، و نوره ، و عن الغايات التي خلق من أجلها ، و مسؤوليات الحياة في هذه المعمورة ، و عن الدور المعبود بالانسان و حقوقه ، كلما انقطع سفر الانسان عن هذه الغايات أو انحرف عنها ، كانت عاقبة هذا السفر الفساد و الدمار .

لقد انتقلت قيادة العلم في هذا العصر إلى أوروبا ، و تقدمت أوروبا في العلم و لكن العالم اليوم يتعرض للأسى ، و الفتن ، من قتل النفس ، و الطغيان ، و البغى ، كل ذلك يرجع إلى انقطاع علم أوروبا عن تعاليم خالق الكون ، فلا يسبب هذا التقدم في العلم بناء الانسان و تثقيفه ، و إنما يسبب نشر الفساد و الفوضى على أوسع نطاق .

إن العلوم ، أقسام و أنواع مثلاً صناعة الأقفال علم ، و كسر الأقفال أيضاً علم ، و لكن علم كسر الأقفال يؤدي إلى التخريب ، و علم صناعة الأقفال يؤدي إلى الجمع و الحفظ ، و إذا سار العلماء معاً فإن العلم الذي يكسر و يعلم وسائل السرقة و النهب يقضى على ما يحققه علم الصنع و البناء .

و كذلك هناك علم لبناء الحياة و تعميرها ، و توجيه خلق الانسان و إرشاده ، و هناك علم لافساد الأخلاق ، و إثارة الغرائز السيئة ، و تخريب ذهن الانسان و تعليمه وسائل الطغيان و التمرد ، و الجوح ، فإذا وجد العلماء و ترعوا و نالا قوة ، وجد التصارع و غلبت قوى التدمير .

إن شقاء الانسان يبدأ بانحراف العلم عن طريق الارشاد الرباني ، فاتجهت حضارتنا إلى التخريب ، لأن الانسان نسي كيف خلق ، و لماذا خلق ، و ما يترتب عليه من واجبات ، و سلوك و مناهج في حياته مع بني جلدته ، و ما هي مسؤولياته ؟ و نسي أنه عبد ، و ليس بمعبود ، و ضعيف و ليس بقوى ، و نسي أن

## علاقة العلم الانساني بالاسم الرباني و مسؤولية المسلمين

[ هذه محاضرة ارتجلها سماحة الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي في اجتماع عقده « منبر رسالة الانسانية » في مدينة اله آباد ( الهند ) يوم ١٠ / ديسمبر ١٩٨٩ م ، امام حشد عظيم من المثقفين و الطلاب و الجماهير .

و بما أن المحاضرة تحمل قيمة علمية و توجيهية نقدمها إلى

قرائنا الكرام معربة ، تعميماً للنفع . [ التحرير ، ]

إن المأساة الكبرى التي يواجهها العالم اليوم رغم تقدم العلم و الحضارة ، و توافر الثروة ، و ارتفاع مستوى المعيشة ، و وجود الاتصالات بين مختلف الجاليات ، و الطوائف و المجتمعات في العالم ، مردها انقطاع صلة العلم الانساني بالاسم الرباني ، و قد كان يجب أن تبدأ مسيرة علم الانسان بالبحث عن حقائق الكون و الحياة ، و الانسان ، و تسير هذه المسيرة في نور الله ، و إرشاد تعاليم السماوية ، و التوجيه الرباني ، لكن العلم قطع صلته بهذا النور ، و انفصل عن التوجيه الرباني ، بل تمرد عليه و ثار ، فكانت نتيجة هذا الانفصال أن أدى العلم إلى الدمار و الفساد ، و وجهت الوسائل التي اخترعها العلم إلى إفساد المجتمع و تشويه طبيعة الانسان .

إن السفر في الغابات و الأدغال ، و الأماكن الموحشة لا يحمل تلك الأخطار ، و المهالك ، التي يحملها سفر العلم بدون التوجيه الرباني ، و كلما انقطع

العلم بدون سياج خلقى خطر عظيم .  
 لقد اوضحت الآية الاولى التي نزلت في القرآن الكريم الصلة القائمة بين العلم الانساني و الاسم الرباني، منها تؤكد ارتباط العلم بالذات الالهى ، بالخالق ، و خلقه للانسان ، و نشأة الانسان ، و موقفه إزاء العلم ، فقال القرآن الكريم مشيراً إلى هذا الارتباط : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ و ربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ، كلا إن الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى ، إن إلى ربك الرجعى » .  
 أليس من الحقيقة أن الفساد الذى ينتشر فى عالمنا اليوم يصدر من طبقة العلماء أكثر مما يصدر من طبقة الجهلاء ، و أن مصدره العلم ، وليس مصدره الجهل ، فإن العلماء يكتشفون بعلمهم مجالات للتخريب و التدمير ، و تلويث المجتمع الانسانى بالنزعات و الدوافع المفسدة ، و أن التقدم الذى حصل فى الصناعة ، و التكنولوجيا ، يتجه إلى اختراع وسائل التدمير أكثر مما يوجه إلى اختراع وسائل التعمير ، لأن العلم انقطع عن العقيدة الصحيحة ، و استغنى عن الدين و تكاليفه ، و صرف نفسه عن عواقب الأعمال ، و خصائص الأعمال .

كان العرب أميين ، فكان فسادهم محدوداً ، و مقيداً ، ينحصر على مجتمعهم المحدود ، و بيتهم الخاصة ، و لكن علماء هذا العصر سلبوا بانحرافهم حروباً طاحنة ، و مآسى عالية النطاق ، و مجازر بشرية هائلة كلفت الملايين من البشر .  
 لقد تقدم العلم فى العصر الحاضر ، و انشئت جامعات ، و انتشرت كليات ، و أصبح عدد العلماء يتدفق ، و أضحت وسائل الاعلام و التربية و التوجيه الذهبى تسع و تشمل المجتمعات الانسانية فى العالم كله ، و تقدم فيها برامج يخططها و يرتبها و يعرضها أصحاب الكفاءات العلمية و الفنية ، و لكن ما هى نسبة التعمير ، و ما

هى نسبة التخريب فى هذه الوسائل التى هى نتيجة العلم ، و ما هى نسبة الجهل الناتج عن العلم الذى انحرف عن طريق العلم الرباني ؟ .  
 إن هذه الآية كلام معجز ، نزلت فى عصر عدم انتشار العلم لكنها تشير إلى عصر انتشار العلم ، و توضح نتائج انفصال العلم عن الاسم الرباني ، كأن الآية تخاطب انسان هذا العصر ، انسان عصر العلم المجرد و قد أثبتت التجارب أن انقطاع العلم يسبب الطغيان ، و البغى .

لقد تقدم المسلمون فى نشر العلم و سجلوا صفحات مجيدة فى البحث العلمى بارتباطهم بالدين ، فقد ترك المسلمون مكتبات ضخمة و مدارس فى الأندلس و بغداد ، و القاهرة ، و إذا ألقينا النظر على منطقة واحدة وجدنا الشغف بالعلم على قمته فى أوساط العلماء الربانيين ، فقد ألف مولانا عبد الحى اللكهنوى وحده ١١١ كتاباً ، و صنف الشيخ صديق حسن القنوجى ، أمير بوفال ٣٠٠ مؤلفاً ، أما تأليف الشيخ أشرف على النهاوى فتبلغ ألفاً ما بين صغير و كبير ، هذه بعض الأمثلة ، و هى لمنطقة واحدة ، و أمثال هؤلاء العلماء فى التاريخ الاسلامى كثيرة .  
 و قد أشار الشاعر الهندى الاسلامى الدكتور أكبر الاله آبادى فى شعره إلى هذه الحقيقة فقال ما معناه « إن الغوص فى بحر العلوم الأوربية يشق للسان ، و لكن لا ينقى القلب » .

إن تاريخ الغرب يدل على هذه الحقيقة ، فإذا كان تقدم العلم المجرد ، يكفى لتقدم الانسان و سعادته لما واجهت أوروبا المشاكل و الصراعات التى تواجهها ، و لما تعرضت للجازر ، و المآسى التى تعرضت لها .

لقد ربط القرآن الكريم العلم بالرحمة و الكرم ، فقال : « الرحمن علم القرآن ، و « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ و ربك الاكرم

الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ، فالله هو الرحيم الغفور ، الاكرم ،  
والعلم الذي يستدير من الاسم الرباني ، والاسم الرحمان لا يمكن أن يكون العلم  
الذي يخرب و يدمر ، و يفتى ، و إنما يكون علم البناء و التعمير ، و التربية  
و التوجيه الانساني .

كان هذا العصر ، عصر العلم و عصر القلم ، و عصر البيان ، ولم يكن عصر  
السيف و السنان لأنه عصر الحضارة ، و المدنية ، انتشرت فيه الكتابة و القراءة ،  
و لكن من سوء تدبير الانسان تحول العلم إلى وظيفة السيف و السنان ، و وجه  
الاعلام إلى وظيفة السيف و السنان ، و ترك البناء و التعمير ، فيخدم العلم في  
هذا العصر ما كان السيف يخدمه في العصر الماضي ، عصر الجهالة ، و الظلام ،  
ولا يمكن تحويل اتجاه العالم اليوم من طريق الهدم إلا بتحويل العلم إلى الاستفادة  
من الاسم الرباني .

و أوجه في ختام الموضوع انتباهاتكم إلى أمور ثلاثة :

١- تربية النشء الجديد تربية دينية ، و إيجاد الوعي و الشعور الديني و المسؤولية  
الدينية و الشعور بالانتماء إلى الأمة الاسلامية ، ذات الرسالة الانسانية  
الخالدة ، و التمسك بالثقافة الاسلامية ، و اعتبار كل شخص أنه مسئول عن  
أسرته و بيته ، فيوجه عنايته إلى إصلاح كل فساد ، و إلى توجيه بيته  
إلى طريق الخير و البناء ، إنه لمسؤولية يتحملها كل فرد ، و جماعة من  
المسلمين باعتبارهم أفراد أمة هداية ، ولا ترجع هذه المسؤولية إلى الحكومات .

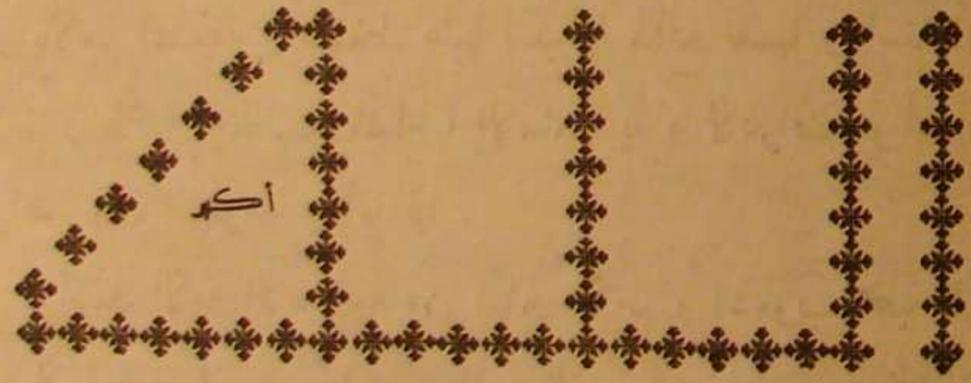
٢- إن اللغة الاردية (١) تحمل الثروة الغنية للثقافة الاسلامية و الفكر الاسلامي ،  
و ثروة علمية قلما يوجد لها نظير في اللغات الأخرى فلا بد من صيانة هذه

(١) ذلك لأن اللغة الاردية هي لغة المسلمين في البلاد و قد نقلت كنوز

اللغة و حفظها من الفناء .

إن الله تعالى وعد المسلمين بنصره إذا بذلوا مجهودهم فقال : • يزيدكم  
قوة إلى قوتكم ، فإذا بذل المسلمون جهداً فإن الله سيزيدهم قوة ، .

٣- الأمر الثالث : التخلق بالأخلاق الاسلامية فيجب أن تتوافر في المسلمين الخصال  
الطيبة ، و التقدم إلى الخير بوسائل الخير ، و يكون سلوكهم سلوك خير أمة  
لا سلوك الأمم الأخرى ، فإذا وجدت فيهم القدوة الحسنة ، و توافرت فيهم  
الخصال الطيبة فإن الأمم الأخرى ستتنظر إليهم باحترام و تجدد ثقتها فيهم ،  
و تتغير الأوضاع التي يعيشون فيها ، و إذا تحققت هذه الخصال و تجلت في  
حياة المسلمين فإن كثيراً من المشاكل التي يواجهها المسلمون تنحل تلقائياً ، بل  
يعيش المسلمون بعزة و كرامة ، و يعتبر وجودهم عنصر خير و بركة .



علم الشريعة و الثقافة الاسلامية إليها على يد علماء المسلمين منذ عهد  
بعيد ، فلا بد من الحفاظ عليها في خضم عملية التدوير و القضاء على  
التراث الاسلامي و الحضارة الاسلامية في هذه البلاد .

## الغزو الثقافي الغربي و ضرورة مقاومته !

بقلم : الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى  
عميد كلية اللغة العربية بجامعة ندوة العلماء.

لا شك أن الاسلام يواجه اليوم في مختلف دياره و أقطاره تحديات شديدة منها الغزو الثقافي الذي اكتسحت به أوروبا أقطار الاسلام و شعوبه ، و أحدثت به في اتجاهات الجيل الاسلامي و أخلاقه و آدابه انقلابا هائلا و في أفكاره و أخلاقه و آدابه تغييراً كبيراً .

وقد حدث ذلك لتفوق أوروبا في القوة السياسية و لتقدمها في العلوم التجريبية و الاكتشافات الجديدة و لانتصاراتها في كسب المعرفة لأسرار المادة و استعملت أوروبا كل هذه القوة و التقدم الذي أحرزته في ميادين الاكتشافات المادية للاستهتار بالأمم الضعيفة و الضغط عليها لتكييفها لمنافع نفسها و استغلال مواهب هذه الأمم و طاقتها المختلفة لمصالحها الاستعمارية و لأغراضها و أهدافها الخاصة لا لأغراض هذه الشعوب و أهدافها .

و كانت الأمة الاسلامية من أكثر الأمم و الشعوب ضحية لهذا الضغط و التغيير لأنها كانت لقرون عديدة منافسة للأمم الغربية بل متفوقة عليها في ميادين الحياة الكثيرة فنشأت العداوة للاسلام في قلوب أبناء الغرب و زعمائه منذ ذلك الوقت و استمرت مع مر القرون و الأجيال ولم تخل قلوبهم من الحقد و طلب الثأر من الاسلام و المسلمين بل دأبت أيديهم المكشوفة و الخفية أيضاً بعمل للانتقام و النيل من الاسلام و من كل ما يتصل به من مجد و فخار .

و كان عقلاؤهم و مثقفوهم في مقدمة الجند الذي يعمل لهذا لغرض إلى يومنا هذا ، و قد نجحت أوروبا في خططها أعظم النجاح بحيث استطاعت تحطيم القوة المعنوية الصامدة و إذابتها من أغلب أفراد الجيل الناهض من هذه الأمة و حطمت بذلك قوتها الأساسية في الحياة و جعلت بذلك أمة الاسلام اليوم فريسة لكل فوضى و اضطراب فيما يتصل بدينها و ثقافتها و أمجادها ، و ذلك لأن الطبقة المثقفة الثقافة الجديدة انبهرت أمام بريق المدنية الغربية الخلاب و خضعت لتوجيهات مفكرها و رجالها في كل مجالات الحياة من فكرية و ثقافية و روحية ، و أصبح أفرادها بتأثير السموم التي بثتها أوروبا في نفوسهم من خلال التعليم و التربية اللذين تلقوهما على أسانذتها و موجهيها ، عديمي الثقة و الايمان بقيمة ما ورثوه من أسلاف أمتهم من تراث ديني و فكري و ثقافي و صاروا بتأثير ذلك كله فاقدين للانسجام النفسي و العقلي مع باقي طبقات أمتهم و بعيدين عنها في التفكير و الشعور بالآلام الأمة و آمالها ، و اشتد البعد مع مضي الأيام بين هذه الطبقة و بين الطبقات الأخرى من الأمة الاسلامية إلى أن أصبحت طبقة المثقفين هذه ترى نفسها أوفق و أقرب إلى أوروبا في تفكيرها و شعورها و فهمها للأوضاع و للآلام و الآمال بل و أصبحت هذه الطبقة أكثر انسجاماً مع الأفكار الأوربية فهي تسعى لتنزع عن هذه البلاد و عن شعوبها مسحتها الطبيعية الأصيلة و تطبعها بمسحة مستوردة مهما خالفت هذه المسحة طبيعتها و مصالحها و مقتضياتها .

و هذا يحتاج إلى جهود جبارة و عمل مرهق مخلص طويل لفتح عقول هذه الطبقة للاسلام و ثقافة المسلمين الصالحة فإذا صلحت هذه الطبقة فالرجاء أن تصلح شعوب البلاد كلها و تنال بلادها كل خير و تقدم و ازدهار ، فلا بد من البحث عن الوسائل الجديدة لأمالة هذه الطبقة و إعادتها إلى ذاتها الاسلامية

وإلى أصولها الدينية والفكرية وبذلك يمكن أن تنشأ بين هذه الطريقة وبين منابع الإيمان والثقة بالاسلام صلات تهمد لها الطريق للنظر في تراثها الاسلامي الصحيح والتفهم له والاستفادة منه، ومن خلال هذه الوسائل نستطيع أن نستلقت عناية أفراد هذه الطبقة إلى تلاوة كتاب الله تعالى تلاوة تأمل وإساعة كأنه كتاب جديد ينزل على قلب التالى من السماء، وهو يصفى إلى ما فيه ويتفهم معانيه بنفس صافية بسيطة لا بنفسية معقدة، وإلى قراءة كتب الحديث الشريف وهو يعترف بما فيها من خير وفضيلة وينتفع بها، وإلى مطالعة كتب فيها صور الإيمان والولاء للرعيل الأول من أبناء الاسلام وبيان أحوال الحياة التي مرت من خلالها الدعوة الاسلامية في عهود تضحيتها وكفاحها ومدى القوة المعنوية التي كانت تملكها، فقد زحزحت الجبال وحطمت الصخور وأذابت جلاميد القلوب وقلبت أعتى التيارات، وبيان ما كان فيها مع كل ذلك من محبة وإنسانية وحنان، وذلك الجانب الذي يوجد في حياة الدعوة والجهاد التي اتصف بها الأسلاف الأوائل في كتب تحدث عن ذلك بأسلوب طبيعي بليغ، وأرى في الدرجة الأولى من التأثير من هذه الكتب كتب سيرة الرسول عليه السلام وسيرة أصحابه البررة الكرام وسير الأعلام من أوفياء الاسلام.

هذه ناحية واحدة والناحية الأخرى هي أن يستلقت النظر أيضاً إلى مطالعة بحوث ودراسات تكشف القناع عن الحقيقة الاسلامية وتثير جوانب أظلمت في نظر المثقفين اليوم من تعاليم الاسلام وما يقدمه الاسلام من حلول لمعضلات الحياة الراهنة ومتطلباتها في ميادين العلم والسياسة والاجتماع وما يعطيه من إرشادات وتوجيهات حول النفس والاخلاق، وأرى في ذلك من المناسب أن يلفت نظر هذه الطبقة إلى مطالعة كتب المؤلفين والمفكرين الذين أحسنوا العرض لأفكار

الاسلام و أجادوا الشرح لتعاليم الدين، وبأسلوب يتفق مع أذهان الجيل الجديد والشباب المثقف من المسلمين، ومن هؤلاء الكتاب الباحثين على سبيل المثال الشهيد السيد قطب والمرحوم مصطفى السباعي وفضيلة الأستاذ أبي الحسن الندوي وفضيلة الأستاذ أبي الأعلى المودودي والأستاذ الشيخ محمد الغزالي والأستاذ مالك بن نبي والأستاذ الدكتور محمد محمد حسين والأستاذ محمد قطب وغيرهم، وهم بفضل الله كثيرون اليوم ولهم بحوث ومؤلفات في مختلف القضايا التي تحتاج إلى شرح وإيضاح للشباب الحريص على فهم الفكر الاسلامي والحريص على المحافظة على تراث آباءه وأجداده من أعلام التاريخ ورجالات الإنسانية كما نجد من رجالات الفكر الاسلامي الذين نشأوا في مهاد الفكرة الغربية وأجادوا فهمها ثم من الله عليهم بالايان بحمالة الاسلام والرفض لمادية الكفر والالحاد مثل الأستاذ محمد أسد النمساوي والسيدة الفاضلة مريم جميلة الأمريكية وهما يكتبان باللغة الانجليزية فكتاباتهم كذلك تعطى زاداً مفيداً لاثقاً بكل تقدير واستفادة فنلقت نظر الشباب إليها.

و أهم شئ في صدد إنقاذ أجيال الاسلام المنهزمة أمام الغزو الثقافي الغربي وإعادتها من مجالات الشك والانحراف والفساد إلى حظيرة اليقين الاسلامي هو إبعاد أسباب الاغراء الحضاري الغربي عن أبصار أجيالنا وعن قلوبها، فان هذه الأجيال ما دامت تسبح في بحر المغريات المادية والحضارة الغربية لا يرجي أن تنفع فيها وسائل إصلاحها وإعادتها إلى الايمان بدينها والثقة بقيم الاسلام الفاضلة التي سبقت لها في التاريخ الماضي أروع الأمثلة.

و لكننا إذا لم نستطع إبعاد الاغراءات المادية والحضارية الغازية للنفس والقلوب في العالم كله فيجب إيجاد قوى وطاقات يكون تأثيرها أقوى من تأثير

هذه الاغراءات و يكون جذبها أشد من جذب الاثرات الطاغية اليوم ، و إن هذه القوى و الطاقات هي قوى المغنوية الاسلامية التي تتمثل في أفراد الناس و مجتمعاتهم فانها تكون كقيلة بتجنيب نفوس كثيرة من الأوحال ، لأنها تملك مغناطيسية الايمان في حياتها ، فقد كان عدد كبير من أسلافنا يملكون هذه المغناطيسية في حياتهم و بها مثلوا دوراً رائعاً لانقاذ أفواج و أجيال من الناس من الضلال و الفساد و إدخالها في النور الاسلامي الوهاج ، فكم آمنت بالاسلام شعوب بأسرها و دخلت في الاسلام بلاد بسائرهما ، و تطلعت أفواج من الناس إلى حظيرة الايمان بتأثير أفراد من هذا القبيل ، نجد قصص ذلك في تاريخ الدعوة و الايمان الموجود في بطون الكتب فانما يجب أن تبرز للناس شخصيات عملاقة في إيمانها وثقتها بالدين و حفاظها على شعائر الاسلام و مبادئه بحيث إذا رؤيت هذه الشخصيات فكأنما رؤى الاسلام مصوراً فيها ، يشع الايمان من أعمالها و تظهر الثقة الاسلامية من أفكارها و وجهات نظرها ، ومع ذلك تعمل مغناطيسيتها الايمانية في القلوب و النفوس التي تتصل بها ، فهي تعمل بقوتها في النفوس و العقول ، فان مثل هذه الشخصيات العملاقة إذا وجدت في عدد ما في كل قطر إسلامي فان وجودها لكفيل إلى حد كبير بانارة الايمان الجامد في النفوس و إعادة الثقة إلى الاسلام و إلقاء جموع المسلمين على جادة الحق و إعادتها إلى التمسك بالذاتية الاسلامية السامية التي نشكو من انهيارها من شعوب و أجيالها الحاضرة اليوم ، ولكننا لا نستقي مع وجود هذه الشخصيات الاسلامية المشعة بالايمان و الثقة بجدارة الاسلام في كل زمان و مكان عن إنشاء مجتمعات كذلك في كل مكان تكون أجواؤها خالية من مغريات الحضارات المادية و من الأفكار الاوربية الغازية للشرق اليوم . مجتمعات يجد فيها كل من يعيش فيها أو من يبذل فيها

زمناً من أوقاته ، جو الفضيلة و البراءة و الانسانية و حب الخير ، يتقى أفرادها ربهم و يخافون عقاب الآخرة و يرجون ثواب الجنة ، و يرون اتباع الصحابة و من تبعهم باحسان من أسلافنا العظماء و في سيرتهم أخلاقهم أكبر فضيلة و أعظم سعادة في حياتهم ، و يجب أن تستخدم هذه المجتمعات الفاضلة كمدارس لبناء السيرة لكل من يخاف على دينه و أخلاقه من الفساد و الانحراف .

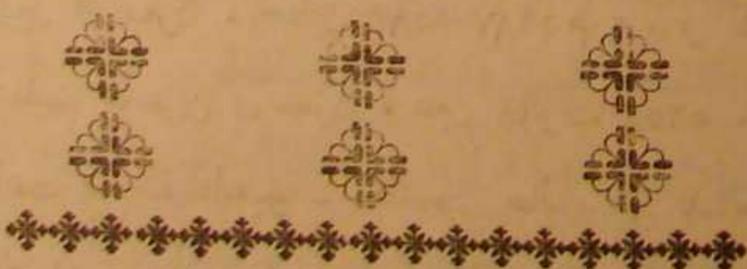
هذه هي الطرق التي أجدتها صالحة للتأثير المطلوب لاعادة الأجيال الصاعدة اليوم إلى الايمان و الاسلام ، و بها تنجح إلى حد كبير إن شاء الله خطوة لانقاذ النفوس المذبذبة في حق الايمان و الاسلام و لمقاومة ما وقع فيها من الزيغ و الفساد و إعادة هذه النفوس إلى مكانتها الاصلية من الوفاء لدينها و السير على ما يملي هذا الدين عليها من هدى و إرشاد ، وهي :

١ - طريقة الاستفادة الفكرية و الاقتناع القلبي بمعالجة السيرة الصالحة و مطالعة الكتب المفيدة .

٢ - طريقة الاستفادة الشخصية الحاصلة من فرد لفرد .

٣ - طريقة الاصطباغ بصيغة البيئة و الوسط .

فان هذه الطرق الثلاث إذا استطعنا من استخدامها فانما يرجى من ورائها نتائج حسنة عظيمة حقاً ، و الله هو الموفق للخير و الصواب و به الثقة في كل الأمور .



سفيان رضى الله عنه و أرضاه . . و قد وصلت الدولة العثمانية فى فتوحاتها إلى مدينة فينيا النمساوية .

وواكب هذه الملاحم البطولية الجهادية ملاحم فكرية تزعمها علماء مجددون دعوا الأمة الاسلامية إلى التنبه للاخطار المحدقة بها ، و العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح من تمسك بكتابهم و سنة نبيهم ، و من هؤلاء الاعلام عز الدين عبد السلام ، و ابن تيمية و ابن قيم الجوزية .

وبعد اندثار الدولة العثمانية سنة ١٩٠٩م بتخية السلطان عبد الحميد ، و إلغاء الخلافة الاسلامية ١٩٢٤م بقيام جمهورية تركيا الكهالية - نسبة إلى كمال أتاتورك - الرجل الصنم ، تعرض العالم الاسلامى لهزة أخرى أشد و أعنف من سابقتها ، ألا و هى الاستعمار الغربى المتحالف مع الصهيونية العالمية و منظماتها السرية . . هذا الاستعمار الذى حاول جهد إمكانه إخراس الدول الاسلامية بجميع الوسائل و خصوصاً القوة العسكرية و الإرهاب البوليسى ، و كان من نتائج كل ذلك سقوط البلاد الاسلامية فى يد الاستعمار ، و تفتت الوحدة الاسلامية ، و قيام دويلة الصهاينة - الفيروس الخبيث الذى يدمر كل شئ لتحقيق هدف الصهيونية العالمية - فى أعز بقاعنا و أظهر أراضينا ، أرض الأنبياء و الصالحين - فلسطين الدرّة المغتصبة أرض العروبة و الاسلام ، أولى القبلتين و ثالث الحرمين - هذا الكيان الطفيل الذى يعد و صمة عار فى جبين كل مسلم و مسلمة بما يقترفه من جرائم ضد الأطفال و النساء و الشيوخ و المقدسات .

إلا أن التدخل العسكرى كلف الاستعمار و أذنبه خسائر فادحة فى العتاد و الأرواح بفضل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، كالشهيد عمر المختار ، و المجاهد المرحوم محمد عبد الكريم الخطابى ، و قافلة كبيرة من الشهداء اشتروا الحياة الدنيا

## أزمة حضارة . . فما هو الحل ؟ !

( الحلقة الثانية )

بقلم : الأستاذ الحسن إبراهيم سكينفل

صحوة بعد سبات :

تعرض العالم الاسلامى بعد القضاء على الدولة العباسية سنة ٦٥٦ ١٢٥٩م على يد التتار لأعنف هزة حضارية أرجعته سنين إلى الوراء ، و زاد من عنف هذه الهزة و قوتها سقوط بعض المعاقل الاسلامية فى الشرق الاسلامى فى يد الصليبيين و سقوط الأندلس فى يد قوة الفرنجة سنة ٨٩٧ ١٤٩٢م بتسليم مدينة غرناطة ، آخر المعاقل من قبل السلطان أبى عبد الله محمد الصغير إلى فرديناد و ايزابيلا ملكى قشتالة بناء على معاهده بينهما و بين الأمير الغرناطى ، و التى لم تحترم من طرف الأفرنج ، يدل على ذلك ما تبع تسليم الأندلس من تنكيل بالمسلمين و إتلاف كتبهم و مؤلفاتهم و إغلاق مساجدهم و جامعاتهم و مصادرة ممتلكاتهم و أموالهم من طرف محاكم التفتيش المرعبة الرهيبة .

و رغم كل هذا ، فلم تخل هذه الفترة من لمحات بطولية سطرها أبطال كبار أعادوا للأمة الاسلامية هيبتها فى الميدان العسكرى كصلاح الدين الأيوبي الذى هزم الصليبيين فى معركة حطين ٥٨٣ ١١٨٧م ، و كالمملك قطز الذى رد التتار على أعقابهم خاسرين فى معركة عين جالوت ٦٥٨ ١٢٦٠ ، و كالدولة العثمانية التى استطاعت فتح القسطنطينية - اسطامبول حالياً - على يد السلطان محمد الفاتح سنة ٨٥٧ ١٤٥٣م بعد أن استعصت على المسلمين منذ عهد معاوية بن أبى

بالآخرة . . هذه الخسائر الفادحة جعلت الاستعمار يأخذ اتجاهاً آخر و بعداً أخطر ، ونعني به الغزو الثقافي الذي ما زلنا نعاني منه إلى اليوم ، والذي حاول الاستعمار من خلاله تجريد المسلمين من مقوماتهم الروحية و سلخهم عن هويتهم الإسلامية ، و ذلك بارجاع تخلفهم إلى التزامهم بظاهر القرآن و السنة النبوية التي يزعم أكثر المستشرقين و أذئابهم أنها لم تعد مسيطرة للعصر الحاضر ، و للطفرة الحضارية المادية التي يعيشها ، و أن السبيل الوحيد لتطور الأمم الإسلامية هو تجردها عن ذاتها و تنكرها لثقافتها و إعراضها عن كتابها و سنة نبينا عليه الصلاة و السلام ، فمعظم هؤلاء المستشرقين - إلا فيما ندر - رغم اختلاف أساليب التناول ، و مناهج البحث و طرق الدراسات ينتهون في غالب الأحيان إلى نتائج متشابهة من بينها :

- ١- أن العنصر العربي [الإسلامي] عنصر متخلف بفطرته ، و طبيعته الجنسية و المناخية ، الأمر الذي عطل فيه دوافع الإبداع و الابتكار .
- ٢- أن الإسلام دين نهى و أمر و زجر ، و كبت للحرية و الاجتهاد ، الأمر الذي أنتج أمة فاقدة للشخصية خاضعة للشيئة ، مسلوبة الإدارة .
- ٣- أن محمداً نبى العرب و المسلمين هو أقرب إلى الشخصيات الإصلاحية منه إلى الأنبياء المرسلين برسالة للعالمين .
- ٤- أن دور العلماء المسلمين في كل أطوار التاريخ لم يتعد النقل عن الحضارات واللغات الأخرى نقلاً حرفياً ، و أحياناً نقلاً محرفاً دونما ابتكار و إضافة .
- ٥- أن علاج الأمة الإسلامية و نجوتها من الكبوة يمكن في احتذاء النموذج الغربي سلوكاً و تطبعاً و ثقافة ، (١) .

(١) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، مكتب التربية العربي لدول الخليج : ج ( أ ) ، مطبعة المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ص ١٥ تونس .

و قد رد علماء الأمة الإسلامية و مفكروها على هذه المزاعم و فدوما و ظهرت حركات إصلاحية تدعو المسلمين إلى التمسك و الرجوع إلى ما كان عليه سلفهم الصالح ، وهكذا ظهرت الحركة الوهابية بالجزيرة العربية بزعامة الشيخ محمد بن الوهاب ، و الذي ركز على أمور العقيدة و التوحيد على اعتبار أنها الأساس و الركيزة لبناء فرد مسلم مخلص و مجتمع إسلامي خالص ، فدعا إلى هدم الأضرحة و الابتعاد عن الشعوذة و السحر ، و أفراد الله وحده بالعبودية ، و محاربة الطريقتين الذي جعلوا الإسلام عبارة عن خرافات و شعوذة و طقوس و ثنية .

و كان جمال الدين الأفغاني و محمد عبده قطبي الرحي في الدفاع عن مقدسات الإسلام و الرد على ادعاءات المستشرقين و من سار في فلكهم ، فكانت دعوتهم دعوة سلفية فكرية حيث دعوا إلى الرجوع إلى أصول الدين الإسلامي و التفكير في آيات الله في هذا الكون ، و الاستفادة من كل ذلك ، و إصلاح حال الأمة الإسلامية سياسياً و اقتصادياً و اجتماعياً .

و هكذا أكد جمال الدين الأفغاني على أن التخلف الذي تعيشه الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر سنة من سنن الله في خلقه المعطلين لقدراتهم الفكرية و الجسدية ، المتواكلين المتكلمين على غيرهم دون أخذ بالأسباب و ربطها بالمسيات ، و أكد أن العيب ليس في الإسلام ، بل في المسلمين أنفسهم ، و عليه فإن حالهم لن يتغير و لن يتبدل إلا إذا غيروا ما بأنفسهم .

أما محمد عبده ، فكانت له جولات في مبدان الفكر و التربية و التعليم ، فقد ارتفع صوته - على حد تعبيره - بالدعوة إلى أمرين عظيمين .

- ١- تحرير الفكر من قيد التقليد ، و فهم الدين على طريق سلف الأمة الصالح قبل ظهور الخلاف و الرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعه الأولى ، و اعتباره

من ضمن موازن العقل البشري ، و أنه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم ،  
باعثاً على البحث في أسرار الكون ، داعياً إلى احترام الحقائق الثابتة ،  
مطالباً بالتعويل عليها في أدب النفس و إصلاح العمل ، كل هذا عده  
أمراً واحداً .

٢ - إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير ، سواء كان ذلك في المخاطبات  
الرسمية بين دواوين الحكومة و مصالحها أو فيما تنشره الجرائد على الكافة  
مثلاً أو متوجهاً من لغات أخرى أو في المراسلات بين الناس ، (١) .  
وجاء قاسم أمين ، فرأى أن الفساد كله كامن في الأسرة ، الخلية الرئيسية  
للمجتمع ، و بما أن المرأة هي قلب الأسرة النابض ، فلا بد أن يعاد إليها  
دورها كاملاً ككسامة لتساهم في رقي المجتمع المسلم ، يقول : « المرأة ، وما أدراك  
ما المرأة : إنسان مثل الرجل لا تختلف عنه في الأعضاء و وظائفها و لا في  
الأحاسيس و لا في الفكر ، و لا في كل ما يقتضيه الإنسان من حيث هو إنسان  
إلا في قدر ما يستدعيه خلافهما في الصنف ، (٢) لهذا يجب تعليم المرأة ، لأن  
تعليمها سيزيل عنها الكثير من الخرافات و الأباطيل ، و يساعد على تربية أولادها  
و المساهمة في الأعمال الاجتماعية ، (٣) إلا أن دعوته إلى السفور و نبذ  
الحجاب أثارت جدلاً كبيراً بين المناصرين له ، و المعارضين و خاصة من  
علماء الأزهر .

(١) الحركات الفكرية والأدبية في العالم العربي الحديث ط ١ ، أبو عوض أحمد  
١٤٠٣ - ١٤٠٤ ، الفارابي عبد اللطيف ، مطبعة النجاح الجديدة -  
الدار البيضاء .

(٢) (٣) نفس المرجع السابق ص ٥٥-٥٩ و ٦٣-٧٠ .

يقول في رده على المعارضين : « سيقول معترض : إن التربية و التعليم  
يصلحان أخلاق المرأة ، و أما الاطلاق فربما زاد من فسادها ، فجيب : إن  
الاطلاق الذي نطالب به محدود يحظر الخلوة مع أجنبي ، و في هذا الحظر ما  
يكفي لاتقاء المفاسد التي لا تولد إلا من خلوة ، أما الاطلاق في نفسه ، فلا  
يمكن أن يكون ضاراً أبداً متى كان مصحوباً بتربية صحيحة لأن التربية الصحيحة  
تكون أفراداً أقوياء بأنفسهم يعتمدون على أنفسهم و يسيرون بأنفسهم ، فمن كملت  
تربيته استقل بنفسه و استغنى عن غيره ، و من نقصت تربيته احتاج إلى غيره في  
كل أموره ، فالاستقلال في النساء كالاستقلال في الرجال يرجع الأنفس عن  
الدنيا ، و يعد عنها الخسائس ، لذلك يجب أن يكون هو الغاية التي نطلبها من  
تربية النساء ، (١) .

وذهب الكواكبي إلى أن الأزمة الحضارية التي يعيشها المجتمع المسلم مردها  
إلى استبداد الحكام ، فدعا إلى جعل مسألة الحكم شورى بين المسلمين تطبيقاً  
لقول الله تعالى : « و أمرهم شورى بينهم ، و ألفت في هذا المضمار كتابه  
« طبائع الاستبداد » ، (٢) .

يقول الكواكبي عن الاستبداد : « المستبد عدو الحق و الحرية و قاتلها ،  
و الحق أبو البشر ، و الحرية أهمهم ، و العوام صبية أتيام نيام لا يعلمون شيئاً ،  
و العلماء هم إخوتهم الراشدون إن أيقظوهم هبوا ، وإن دعوا لبوا ، و إلا فيتصل  
نومهم بالموت ، و قولهم : الاستبداد أعظم بلاء يتعجل الله به الانتقام من عباده  
الخاملين ، و لا يرفعه حتى يترخوا توبة الأنفة ، نعم ! الاستبداد أعظم بلاء  
لأنه وباء دائم بالفتن ، و جذب مستمر بتعطيل الأعمال ، و حريق متواصل

(١) (٢) نفس المرجع السابق ص ٥٥-٥٩ و ٦٣-٧٠ .

## شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن

للاستاذ الدكتور / توفيق شاهين

المركز الإسلامى - أمانه - كندا

يقول الله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس ،  
وبيئات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه - سورة البقرة ١٨٥ » ،  
أشارت الآية الكريمة إلى شيئين لهما أهميتهما فى حياة المؤمنين ، وهما : أن  
القرآن الكريم نزل فى شهر رمضان ، فتلك ذكرى ابتداء الوحي بالقرآن إلى  
رسولنا ﷺ ، وأن على المسلم الذى يشهد رؤية الشهر المبارك صيامه لله سبحانه ،  
تعبداً وشكراً على نعمة القرآن .

وذكرى نزول الوحي تستحق وقفة تدبر فيها شأنه ، وتدرجه ، وما أحيط  
به من ضمانات لبقائه نقياً له قداسته وتقديره وفعالته واستمراريته . . . ومراجعة  
جبريل عليه السلام للرسول فى كل عام لجمع القرآن و تثيته ، حتى قوى إيمان  
المؤمنين بربههم ، وصفت أرواحهم ، وتشير الآية الكريمة إلى أن القرآن الكريم  
هدى للناس ، فهو الذى يزكى النفوس ، ويثبت الايمان ، ويصفي الروح ، وينهيه  
من طغيان المادية والجسد ... ويتأتى ذلك بتدبر القرآن وتلاوته مع قبول الهداية  
العملية و التدريب عليها ، فتكون الموازنة بين مطالب الجسد و أشواق الروح .  
و كانت فرضية الصوم فى شهر رمضان ، بدون تخيير فى حرية اختيار أى

شهر - حتى تتحد كلمة المسلمين و مشاعرهم و أحاسيسهم من ناحية ، و ليغلق  
الإسلام باب الاعتذار و التعللات ، حين يختار بعضهم ما يروقه من الأشهر ،  
أو يكون النسئ . فتضطرب القلوب ، وتفرق الكلمة ، ويحل الشتات محل الثبات

بالسلب و الغصب ، و سيل جارف للعمران ، و خوف يقطع القلوب ، وظلام  
يعمى الأبصار ، و ألم لا يفتر ، و صائل لا يرحم ، وقصة سوء لا تنتهى (١) .  
كما ظهر مصلحون آخرون أمثال علال الفاسى و الشيخ أبى شعيب الدكالى و المختار  
السوسى بالمغرب ، وابن باديس و الأبراهيمى بالجزائر ، وغيرهم فى تونس وليبيا .  
كل هؤلاء ردوا على مزاعم المستشرقين ، و حاولوا جهد إمكانهم لفت  
نظر الأمة الإسلامية إلى ما يحيط بها من أخطار ستؤدى بها إلى الانهيار إن هى  
تساهلت فى أمور دينها .

إلا أن هذه الحركة لم تكن ترى الاستفادة من تجارب الأمم غير الإسلامية  
عياً ، والانتفاع بها بما لا يخالف الشرع حراماً ، بل حاولت التوفيق بين متطلبات  
الحضارة التى وصلت إليها أوروبا ، و بين أصول الدين الإسلامى .

كما كان لجماعة « الإخوان المسلمين » فى مصر دور كبير فى بعث الشعور  
بالانتماء إلى الإسلام لدى الفرد المسلم من خلال كتابات أقطابها مثل حسن البنا  
و سيد قطب و عبد القادر عودة و غيرهم .

يقول الشيخ المجدد حسن البنا : « أيها الأخ الصادق : هذا مجمل لدعوتك  
و بيان موجز لفكرتك ، تستطيع أن تجمع هذه المبادئ فى خمس كلمات : الله  
غابتنا ، و الرسول قدوتنا ، و القرآن شرعنا ، و الجهاد سبيلنا ، و الشهادة أمنيتهنا (٢) .  
و كان هؤلاء الأعلام من علماء و مفكرين طليعة الصحوة الإسلامية الحالية  
التي تحمل فى طياتها آمالا كبيرة يلزمها ترشيد و توعية و صبر و عزم و تقوى  
و إخلاص ، و بعد عن الأنانية و حب الزعامة و التعالم ، و التكالب على الدنيا .  
» يتبع ،

(١) نفس المرجع السابق ص ٥٥-٥٩ و ٦٣-٧٠ .

(٢) مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا - رسالة التعاليم - ص ٢٥ ، ٢٦  
الطبعة بدون تاريخ و لا عنوان .

والصفاء و الاتحاد في المشاعر و القلوب : فالاجماع على شيء واحد في زمان واحد . . . أدعى إلى القبول ، و وحدة الهدف ، و قبول الهداية ، و تسهيل الامتثال للأمر ، و انتشجيع على إنقاذه .  
و كان الصيام يوماً كاملاً - من طلوع الفجر إلى غروب الشمس - في شهر كامل ، لجدية التمرين و الانقياد بالامسك عن الطعام و الشراب ، وللوسطية التي يراعيها الاسلام بين مطالب الجسد و أشواق الروح ، بموازنة سوية لا إفراط فيها ولا تفريط .

\* \* \*

و في اتفاق جماعة المسلمين على شيء كالصوم . . . يجلب ما يناسبه من رحمة الله و إحسانه ، و جوده و بره بعباده الممثلين لأمره ، و الواقفين عند حدوده ، و المسارعين إلى مرضاته و البعيدين عن سخطه . . . حيثئذ تسطع أضواء الايمان في قلوبهم ، و تعمهم الرحمة ، و تنزل بها البركة ، و لا يؤثر فيهم الشيطان ، و لا تهبط بهم الغرائز الحيوانية و إنما يرتقون في المستوى الانساني الفاضل . . . ولذا جاء في الحديث الشريف : « إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة - و في رواية أبواب الرحمة - و غلقت أبواب جهنم ، و سلسلت الشياطين » .  
و رمضان شهر الاخلاص ، لأن الصائم يخلص فيه الصوم لربه سبحانه وحده ، و ليس له من رقيب على نفسه سوى الله تعالى : فقد يتراعى الخلل بالمرامات في أساسيات الاسلام الأخرى ، بسبب النفس الأمارة بالسوء ، أو تسلط الهوى و الشيطان ، فيحبط الرياء صالح العمل ، أو يقلل من قيمته و فعاليتها ، ولذا أشار الحديث الشريف إلى الصوم و مزيته من بين العادات - التي هي كلها لله - « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فإنه لي ، و أنا أجزي به » ، مزية إخلاص ، و مزيد جزاء ، و جاء في حديث أبي أمامة - رضي الله عنه -

قال : « قلت يا رسول الله مرني بأمر ينفعني الله به ، قال : عليك بالصوم ، فإنه لا مثيل له ، أي لا نظير له في عظيم الأجر ، و صفاء النفس ، و القرب من الله ، و صحة الجسم ، و كسر طغيان شهوة النفس ، فيسيطر الانسان على نفسه و الأحداث التي تنزل به ، و الصعاب التي يلاقها في الحياة ، و الاسلام يجب ذلك الانسان القوي ، و لا يرحب بالانسان المتردد بين الضعف و القوة ، و الذليل لشهوته و وهمه ، و القلق في الحياة بسبب ضعفه و قلقه في دنياه ، و إيثاره الفانية على الدار الباقية .

\* \* \*

و حين تذكر الآية الكريمة أن نزول القرآن في شهر رمضان كان « هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان » ، يتضح أن قلوب المؤمنين بأداء هذا الصوم تطوى على إيمان بالله وحده ، و بكتابه الذي أوحاه إلى رسوله - ﷺ - و بهداية هذا الكتاب تتضح معالم الحق ، فضلاً عن الاتحاد في المشاعر و الأحاسيس ، و من ثم تلتقي القلوب على هدف واحد و كلمة سواء ، كذلك يخف عن المحتاجين ما يلاقونه من حرمان في الحياة ، حين يواسيهم الغنى بإيصال حقهم إليهم ، شكراً لله تعالى ، و يقبل صاحب الجاه بجاهه على من لا جاه له تيسيراً لأمره ، و تسهلاً لشأنه ، و بمعرفة الحقوق و الواجبات يكون التعاطف و التواد ، و تحلو وتهدون مشقات الحياة و الأحياء ، و هنا يرضى الانسان ربه بامتثاله لأمره ، و يرضى نفسه بتزكيتها و نجاحه في تحطى الصعاب ، مع الاحتفاظ بمعنوياته و إنسانيته ، و تتعاطف نفسه مع أفراد أمته و جماعته فتقوى و تماسك بقوة العزيمة حين ينميها بالامسك عما تشتهى نفسه بصيام رمضان ، فيصبح سيد نفسه ، و تسود أمته ، و ترتفع عند الشدائد و الأزمات ، و تكون خير أمة أخرجت للناس .

\* \* \*

و للشقة التي يلاقها الصائم ، حين يكافح الهوى و الشهوة و المألوف في

سبيل نصره لإيمان النفس بالله تعالى ، وإيقاظ ضميره ، فاستجاب لدعوة الله ، و انتصر في جهاده . . . . . هذه المشقة كان جزاء الصائم أضافاً مضاعفة ، لأنه جهاد من نفسه الخيرة ضد نفسه الأمارة بالسوء ، و يروي أبو هريرة - رضی الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - قوله : « كل عمل ابن آدم يضاعف : الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله عزوجل : « إلا الصوم ، فإنه لى ، و أنا أجرى به ، يدع طعامه و شرابه من أجلى ، جزاء وفاقاً لما قام به من صيام عن معياده ، و مألوفه و شهوته في سبيل تزكية نفسه ، و ابتغاء وجه خالقه ، و نصره لإيمانه ، و تضامنه مع إخوانه المؤمنين .

★ ★ ★

و الانسان الصائم قاصد لكل نفسه و رقيها الانساني . . . و بالتالى فعليه قهر نفسه لازالة رذائلها ، حتى يكون لعمله صورة تقديسية في دنيا المثل ، ويكون صومه لله المعطى ، الذى يجازى عليه بنفسه ، و من هنا جاء قول الرسول الأكرم : « الصيام جنة » : أى وقاية ، لأنه يبقى النفس شرها ، و وسوسة الشيطان ، و يساعد الانسان من تأثيرهما ، فالواجب تكميل معنى الوقاية بتزنيه اللسان عن الأقوال و الأفعال التى لا تليق بالانسان المؤمن ، و التى تمثلت في حديث المصطفى - ﷺ - :

« رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، و رب قائم ليس له من قيامه إلا السهر ، رواه أبو هريرة .

فالصائم هو الذى أمسك فمه عن الأكل و الشرب و لغو القول و الحديث : و أمسك لسانه عن الوشاية و الشائعات و الأراجيف و الغيبة و النيمة ، و أمسك يده عن الكسب الحرام ، و عن الايذاء و العبث ، و أمسك قدميه عن السعى في الشر و الفساد ، و حفظ قلبه عن الحقد و الحسد و سوء النية و الطوية ،

و الذى يمسك عن مجازاة الشر بمثله ، و مجازاة السفه بلفظه : فيغير من وضعه عند غضبه و الاعتداء عليه ، و يقلل : لئى صائم حين يسفه عليه السفه ؟ اعتصاماً بالصوم ، و نأياً عن خطاب المسئى . . . و بذلك يكون معنى الصوم - كما جاء فى اللغة - هو الإمساك . . . قولاً و فعلاً ، و عملاً و لفظاً و معنى . . . لأن الصوم سر و عمل باطن يجب ألا يراه الخلق و لا يدخله الرياء . . . و تضيق مسالك الشيطان و الشهوات ، و بهذا نعلم أن :

صوم العموم هو : الكف عن شهوات البطن و الفرج .

و صوم الخصوص ، هو كف النظر ، و اللسان ، و اليد ، و الرجل ، و السمع ، و سائر الجوارح عن الآثام .

و صوم خصوص الخصوص : هو صوم القلب عن كل همة دنية ، و أفكار تبعد عن الله تعالى ، و الناس هم درجات فى هذا الجانب .

و على الجملة : فللصوم خصيصة ليست لغيره ، و كفاء شرفاً أن الله سبحانه أضافه لنفسه حينما قال فى حديثه القدسى : « الصوم لى و أنا أجرى به ، كما شرف سبحانه البيت العتيق بالاضافة إليه حينما قال تعالى : « و طهر بيتى - الحج ٢٦ .

★ ★ ★

و الصوم عزيمة ، يجب أن يتناولها المسلم بعزيمة و قوة ، و ألا يترخص فى تعطل النفس - الأمارة بالسوء - عن صيام رمضان : فمنهم من يتوهم أن الصوم مضعف للجسم ، و بالتالى فهو معطل أو مقلل للعمل و الانتاج . . . و منهم من يتعلل بأن الصوم يحد من حرية الانسان فيما يفعل و يتصرف ، أو أنه تقليد مضى زمنه ، ولم يعد يصلح للحياة الحديثة . . . و منهم من يتوهم أن المرض قريب منه إذا صام . . . إلخ ، وكلها تعللات كاذبة لنفس خائرة ،

وعزيمة واهية . . . وغاب عن المتعلمين أن الصوم تدريب وتهذيب ، وتقوية  
للارادة واستعلاء بها على مظاهر الركود والضعف والحوار ، وانتصار للانسان  
على نفسه وعادته ، وتدريب على الصبر على الشدائد ، والمكاره ، وإذكاء  
لاعلاء المشاعر الطيبة بين الفرد والجماعة ، ويكون سيدا على نفسه وشهواته ،  
وتعلم الصبر وخلق الأمل ، والاحسان بالقول والفعل ، وإتقان العمل  
والاخلاص فيه ، فيتأثر في سعيه في سبيل عيشه ، ولا ييأس حين يخيب مسعاه  
أو يخفق في أملة ، ولا رقيب على ذاته إلا من ذاته وداخله ، وفي إنجاز ،  
الصوم عبادة تصلح الروح والبدن ، وعبادة تعد الانسان لحياة الخير ، لخير  
الانسانية وخيره .

والصوم لما له من آثار صحية على البدن ، و آثار نفسية على الايمان  
والاتصال بالله تعالى وطاعته ، و آثار على السلوك السوي المهذب الانساني ...  
كان الصوم عبادة قديمة ، و فريضة على الأمم السابقة عنا ، كما هي فريضة  
إسلامية ، يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب  
على الذين من قبلكم لعلكم تتقون - أياما معدودات ، البقرة ١٨٣ ، و معنى هذا  
أن بين الانبياء والرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وشائج قرى سماوية ،  
و أن اللاحق منهم يتم رسالة السابق ، و كلهم في سبيل الله وخير الانسانية .

و معنى هذا أيضاً أن رسالات الله سبحانه إلى خلقه سلسلة من حلقات  
تم بعضها بعضاً ، ويقوى بعضها بعضاً ، قوامها : الشهادة بأن الله واحد لا شريك  
، و أنه وحده المستحق للعبادة والطاعة والامتثال ، و أن فعل الخير واجب ،  
أن البعد عن الشرور والآثام مفروض ، و أن الايمان باليوم الآخر والعمل  
واجب كل مؤمن . . . هذا في أساسيات الاسلام الذي هو دين الانبياء

جميعاً ، كما نلح في آخر سورة البقرة : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه  
و المؤمنون ، كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله ، لا نفرق بين أحد  
من رسله » - البقرة ٢٨٥ ، و تلك عقيدة الرسول محمد و المسلمين معه . . .  
و معنى هذا أن علماء الأديان السماوية التي أنزلها الله سبحانه إلى عباده . . . في  
مقدورهم أن يتقوا على الأساسيات و الأصول التي أقرتها أديانهم - إذا صححت  
النيات ، و أخلصت القلوب - و يعذرون بعضهم البعض فيما اختلفوا فيه . . .  
فتصفو النفوس ، و تطيب المشاعر ، و يقوى التعاون ، و يقوم الاخاء الانساني  
في بنيان متماسك فما يرى المسلم العالم التنافر بين الأديان الآن إلا في نفوس غير  
الفاهمين ، و البعيدين عن روح الدين ، أي دين كان ، لكنه آت من عند الله  
هادياً ومبشراً ونذيراً ، على أن شعائر الديانات وأنظمتها وتعاليمها قد تختلف أو تتأثر  
بشروح أو تفاسير ... لكن يبقى الثبات للأساسيات والمبادئ جامعها جميعاً .

و في عبادة الصوم مثلاً ، و هي قديمة في الفرض و الفريضة نرى من  
مقارنة الأديان أن صوم نوح وقومه ، كان غير صوم داود ذي الأيدي والقوة ،  
غير صوم عيسى ، غير صوم مريم عن الكلام ، فكان لكل منهم - صلوات الله  
و سلامه عليهم أجمعين - ما يناسب زمانه وقومه وعزيمته وقوتهم : « ألا يعلم  
من خلق و هو اللطيف الخبير ، الملك / ١٤ .

و من ثم اختلفت ألوان الصوم باختلاف التشريع للأمم ، كما اختلفت  
نوعية الصلوات بين الأديان ... وإن اتفقت جميعها في الفرضية وأصول التشريع .  
هنيئاً للصائمين صومهم ، و قبل الله منا و منهم الصيام و الصلاة و القيام  
وسائر الأعمال الصالحة .

و الله يقول الحق و هو يهدي السبيل .

عنها الآباء ، و يشير شجونها الغيورون ، و يلتبس لها حلا من كل وافد عليهم ، أولئك الذين عاشوا في تلك الديار ، واصطلوا بنارها في مجتمعهم الجديد ، خوفاً على مصير أبنائهم .

ذلك أن أبناء المسلمين في بعض الدول الأوربية و الأميركية ، قد بدأت تفتتح أمامهم الطرق ، و تنفتح لهم الفرص في الرعاية و العناية . . . و إيجاد المدارس ، و المكتبات ، و تنظيم الدروس الإسلامية في المساجد و المراكز الإسلامية . . . و مبعث هذا : الشعور بأهمية تعليم الأبناء و البنات منذ حداثة أسنانهم لأمور دينهم ، و ربطهم بكتاب الله و سنة رسوله الكريم ﷺ ، قراءة بما ترجم ، و فهماً و استيعاباً بما يشرح أمامهم ، و ما يتلقونه من إجابات على أسئلتهم . . . و ما أكثر تساؤل الشباب ، و حرصهم إذا وجدوا من يرفعهم ، و يهتم بأمورهم و يتعهدهم . أما إذا كانوا لا يجدون ذلك ، فإن مصيرهم إلى الضياع ، و الانصراف في المجتمعات التي يعيشون فيها ، لأنهم سوف ينغمسون فيما انغمس فيه شباب تلك الديار ، و قد تتعلق البنات بزملاتهن في الدراسة أو العمل و تزوج الواحدة بهن من غير مسلم . . . لأنها نشأت جاهلة بدينها ، غير مدركة ما يفرضه عليها من قيم و أخلاق إذ لا تدرك الحكم الشرعي في ذلك ، و الجهل داء قاتل .

و القصص و الوقائع كثيرة ، مما يتفطر له القلب ، و ينجرح له الفؤاد ، يلبس مثل ذلك بصفة خاصة من يزور استراليا و فيجي و نيوزيلندا و الجزر المحيطة بها . . . حيث وصل تلك الديار كثير من أبناء المسلمين منذ زمن طويل ، ولم تكن صلة المسلمين المدركين بها قوية ، كما هي الحال في أوروبا و الأمريكيتين ، حيث نشط الإسلام و تكاثرت المساجد - بحمد الله - .

## معاناة الأقليات المسلمة

بقلم : دكتور محمد بن سعد الشويهر  
رئيس تحرير مجلة والبحوث الإسلامية ، الرياض

إن من ينظر في التقارير الجغرافية و الإحصائيات السكانية ، يجد أن نسبة المسلمين لا يستهان بها في كل مكان من العالم ، إلا أنهم يعتبرون أقليات في أكثر الدول ، و خاصة في أوروبا و الأمريكيتين و استراليا و في أماكن أخرى . و تبرز غربة الإسلام لدى الجاليات الإسلامية ، التي أحوجتهم ظروف المعيشة للانتقال إلى تلك الديار ، و هم غير مسلمين بما يعينهم على تخطي العقبات و تجاوز العثرات التي تعترض أبناءهم خاصة ، بأمور عديدة من أهمها ضعف الحصيلة الشرعية ، و القدرة على معرفة ما يجوز و ما لا يجوز في تعاليم الإسلام . فبعض الآباء وصل لديار الغربية صغيراً لم يتعلم ، أو كبيراً لكنه قد يعرف بعض أمور دينه أداء ، و لا يستطيع توضيحها لأبنائه حكماً ، و بعضهم ولد في تلك الديار ، فنشأ كما ينشأ أتراب في الضياع الفكري ، و الخواء العقدي ، لأن ما يأخذه من المدرسة ، و ما يستفيد من المجتمع ، و ما يراه في وسائل الإعلام ، كلها أمور تباعده عن الإسلام و قيمه و أخلاقه ، و ما شرع الله فيه .

و إذا كان الشاعر العربي يقول :

و ينشأ ناشئ الفتيان منا  
على ما كان عوده أبوه

فإن أصدق من ذلك : قول رسول الله ﷺ : كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه . . .

و في كثير من أقطار الدنيا يلبس الزائر الآما ، و يجد أحزاناً ، يحدته

و قد أتيت لي زيارة بعض الجزر الواقعة جنوب خط الاستواء ، و حدثني بعض الاخوة من لبنان ، حيث يقيم باستراليا ، و هو من خريجي كلية اللغة بجامعة الأزهر ، عن نماذج كثيرة من معاناة المسلمين هناك ، و خوفهم على ضياع أبنائهم ، في مجتمع يعطى الحرية المطلقة لمن وصل سنأ معينة ، بل و يعينهم على التغلب بما يمنح لهم من مبالغ مالية كل أسبوع ، مما يضعف معه الرباط الأسرى و الهيمنة الأبوية .

و لكي يكون كلامه ملامساً لأوتار القلوب ، و محركاً للشاعر ، فقد ساق لي قصصاً كثيرة عاشها و عرف فصولها ، كيف لا و هو الذي لا عمل له إلا المرور على البيوت ، و إعطاء دروس في اللغة العربية ، و القرآن الكريم ، لأبناء المسلمين بمجده الذاتي ، و معاناته التي لم تستطع تلبية جميع الطلبات .

نماذج مخزنة :

يقول ذلك الاخ لقد تأملت كثيراً عندما ضمني مجلس مع مجموعة من هؤلاء الشباب ، و كان الحديث عن المسيحية و الاسلام ، و وجدت شاباً اسمه «مايكل» يشوق لمعرفة أشياء عن الاسلام ، لأن لديه رغبة و لكن خلفيته عن الاسلام لا تزيد عما يقوله أعداء الاسلام من شبهات منفرة حتى يتعد الناس عنه . . . و لما كان هذا المتحدث قليل البضاعة في الأمور الشرعية ، و هو في خيرة المتحمسين في ذلك المجتمع ، فقد أجاب على التساؤلات بقدر استطاعته ، ثم دخل مع الشاب في نقاش ليعرفه بالاسلام و محاسنه . و لكن دهشته زادت عند ما أخبره ذلك الشاب بأنه حسبما علق بذهنه من الجذور أنه مسلم ، و أن خلافاً نشأ بين أمه التي هي من أصل روسي ، و والده المسلم ، فحكمت المحكمة بالطلاق بينهما ، و أعطتها حق أخذ الأولاد ، يقول : و كنا ثلاثة أخوة و بنتين : الأولاد

أسمائهم محمد و أحمد و مصطفى ، فما كان من الأم إلا أن غيرت الأسماء : محمد و هم أكبرهم إلى مايكل ، و أحمد إلى أيمل ، و مصطفى إلى ميشيل .

نشأ هؤلاء الأبناء لا يعرفون والدهم المقيم معهم في نفس المدينة ، لأنه تزوج بأخرى ، و وضعه العلمي و المالي لا يعينانه على تلافى الأمر و تعليم أبنائه و رعايتهم ، فهو عامل عادي ، و مستواه العلمي ضعيف . كما اهتمت بهم أمهم و حرصت على أن تمسح من عقولهم ديانتهم السابقة ، فكانت رابطتهم بالكنيسة ، و يبتئهم البعيدة عن الاسلام ، ثم تغيير أسمائهم ، كل هذا مما صهرهم في مجتمعهم الجديد ، و صاروا لا يعرفون عن دينهم السابق ، و يبتئهم التي ينتمون إليها في الأصل شيئاً ، و لو لا أن أكبرهم قد علق بذهنه اسمه السابق و اسم والده و ديانتهم ، لذاب كما ذاب أخوته ، و غيرهم كثير من أبناء الاسلام في تلك الديار ممن أصبح المعروف من أخبارهم قصصاً تخزن ، و أوضاعاً تثير الغيرة و الحمية لدين الله .

و حكايات كثيرة يتناقلها الناس هناك عن أول جالية إسلامية وصلت استراليا منذ قرابة مائتي عام أي عند اكتشاف الانجليز لها ، والبده في استثمارها ، فقد كان الافغان الوافدون يحملهم هم المسؤولين عن معرفة الطرق والنقل في هذه القارة ، فبنوا قرى إسلامية ، و أوجدوا المساجد على الطرقات التي لا تزال آثارها باقية حتى اليوم ، لكن الزمن و الجهل ، جعلاً كثيراً من أبناء هؤلاء ، بل الغالبين العظمى تنسى دينها ، و تذوب في تلك المجتمعات الجديدة ، البعيدة عن الاسلام ، و آخر ما روى عن بعض أبناء أولئك الأوائل المهتمين بدينهم ، أن رجلاً في وسط القارة توفي و هو غني ، و قد وجد ابنه في وصيته بأن يدفن على الطريقة الاسلامية ، و أن يكون في مقابر المسلمين ، و لحرص هذا

الابن على تنفيذ الوصية ، و بعده و بعد أبناء البلد التي يقيم فيها عن الاسلام ،  
و معرفة أحكامه ، مع أن أغلبهم من قبل كانوا من المسلمين ، فانه لجأ للعاصمة  
« سيدني ، ليلتمس من يخبره بالطريقة ، و يعرض عليهم أن يقوموا بتنفيذ  
ما طلبه والده .

هذه بعض النماذج الكثيرة والمحنة عن سيرة أبناء المسلمين ، تمثل ذوبانهم  
في المجتمعات عند ما يفقدون الرعاية و العناية ، و ارتدادهم عن دينهم عند ما  
ينساهم العلماء العارفون بالواجب الشرعي .

### المسئولية الكبرى :

و إذا كان رسول الله ﷺ قد أبان أن للوالدين دوراً في تغيير أبنائهم  
لديانتهم الصحيحة ، و تخليهم عن قيمهم و أخلاقهم ، فان هذه أمانة يجب أن  
يتعاون فيها العلماء مع الآباء ، ليعرفوهم بدورهم و يعينوهم في تخطي الازمات التي  
تمر بهم ، فرسول الله ﷺ يقول : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه  
أو يمجسانه أو ينصرانه ، قال صاحب الطحاوية : و لم يقل أو يؤسليانه ،  
لان الفطرة هي الاسلام .

إن مسئولية المسلمين في كل مكان كبيرة و جسيمة ، أمام إخوانهم في  
أرض الله الواسعة ، حيث يعانون من أمور كثيرة : أهمها تعليم أبنائهم و رعايتهم  
إسلامياً في العقيدة و الأحكام ، ذلك أن من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم .

إن كل غيور عند ما يسمع و يرى أمثال هذه الحكايات ، و يلمسها كياناً  
متجسماً أمامه ، يشعر بأهمية الوضع و جسامته المشككة ، و يدعو إيمانه إلى بذل  
الجهد من أجل الوصول إلى حل يعين على تجاوز الأزمة ، و المساندة في وضع  
الحلول ، و مضاعفة الجهود .

صحيح أن المسلمين حتى في داخل بلادهم يشكون من النقص في الدعاة  
المخلصين ، و من قلة العلماء العاملين لان العدد كثير ، و الجهد المطلوب كبير ..  
و لكن هذا القليل يمكن توزيعه بما يعين الجميع على إدراك ما لهم و ما عليهم ..  
إذ لا شك أن الجهود التي تبذل في الآونة الأخيرة في العمل الاسلامي : من  
ندوات و مخيمات و طباعة كتب و مجلات .. كلها ذات أثر طيب ، إلا أن  
الحجم المطلوب أكبر ، و المهمة الملقاة على الكواهل أثقل .

ولكي يشعر طلبه العلم بالأهمية ، فانهم يجب أن ينطلقوا في عملهم من  
قاعدة عقديّة ، و اهتمام بأداء الواجب ، و أداء لحق المسئولية التي قال الله عنها :  
« و إنه لذكر لك و لقومك و سوف تسألون ، ، فسئولية انتشار أبناء الاسلام  
من الضياع ، و الارتداد عنه ، هي مسئولية الفاهمين الواعين ، و هم طلبه العلم ،  
بالتبليغ و الدعوة ..

وإن كثيراً من الدعاة اليوم يهتمون بالجوانب التكميلية في الثقافة الاسلامية  
ويهملون جانباً مهماً و هو العقيدة ، و مفهوم الوحدةانية مع الله جل و علا .. إذ  
أن شهادة أن لا إله إلا الله ، و أن محمداً رسول الله ، لا يكفي نطقهما .. فلا بد  
من العمل بالمقتضى ، و الاهتمام بالنتائج ، و ذلك بالحرص على أداء ما فرض  
الله على عباده كاملاً و في وقته المحدد .

وترسيخ العقيدة في النفوس الصغيرة ، من أهم الواجبات العلمية ، لان العلم  
في الصغر كالنقش في الحجر ، و هي بالنسبة لأبناء المسلمين الحصن الواقعي الذي  
يعينهم في مجابهة كثير من الأمور ، كاللقاحات التي يتعاطاها الصغار و الكبار عن  
كثير من الأمراض .

و لقد كان رسول الله ﷺ ، يتخول الصحابة بالنصائح ، حتى يكون لذلك  
أثر راسخ في نفوسهم ، و نتائج عملية في تصرفاتهم .

و أبناء المسلمين في كثير من أقطار العالم ، لهم واجب على إخوانهم العلماء في كل مكان في الاهتمام و العناية و في التوجيه و الرعاية . . . و ذلك بأن يزورهم بين حين و آخر ، إذا لم يتوافر العدد الكافي الذي يستطيع البقاء بينهم و أن ينظموا الاوقات مع الجميع للدراسة و التعليم : صغارا و كبارا . . . و هي للصغار ألزم لأنهم إلى ذلك أحوج ، فبمعرفةهم ، و حسن إدراكهم لتأثير البيئة التي هم فيها ، و يكبر معهم الاحساس بالواجب الديني ، و متطلبات أبناء المسلمين .

أمانة العلم :

و علماء المسلمين و دعواتهم في اتصا لهم باخوانهم بأي مكان ، و مهما كان الوقت ، عليهم أدوار كثيرة في وضع الاسس التعليمية و الاخلاقية ، حتى يستطيعوا الاستفادة في أنفسهم ، و حماية إخوانهم من المحتاجين إلى التوجيه و العناية ، و حتى يكون لعملهم تأثير واضح .

كما أن الاخلاص و النية الصادقة ، و ابتغاء ما عند الله من لوازم الداعية لأن الأثر العلمي كالمغناطيس يجذب بخفاء إلى الأجسام التي تتفاعل معه .

و أهم ما يجب أن يربط به المغترب من المسلمين ، كتاب الله جل و علا : حفظا و فهما ، و الصحيح من حديث رسول الله ﷺ ، إذ في استظهارهما و فهمهما خير معين على فهم الاسلام جيدا ، و إدراك أن الخلافات التي نشأت قديما و حديثا ، مبعثها البعد عن مفهومهما ، و الانقياد لرغبات النفوس ، و أنه لا عزة للمسلمين أفرادا و جماعات ، في أي زمن و بأي موقع كانوا إلا بالسير وفق ما يرمى إليه هذان المصدران ، و ما يأمران به . . . كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ بقوله : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي ما تمسكنم بهما ، كتاب الله و سنتي . . . » و إن طلبه العلم من المسلمين في كل مكان ، عليهم واجب في

تبليغ ما عرفوا من أحكام دينهم ، لاخوانهم المحتاجين للتوجيه و الرعاية ، لأنهم سوف يسألون عما عملوا في علمهم ، و زيارة المغتربين ، و الاقليات الاسلامية ، و تفهم ما يدور في نفوسهم ، و تعهد أحوالهم بين حين و حين ، من ألزم الواجبات ، و من أهم الحلول التي تعينهم على تجاوز العصاب في مجتمعاتهم التي يعيشون فيها . . . و كم أخرجت الجامعات الشرعية من علماء ، و كم من هؤلاء اهتم بأداء ما أوجب الله عليه نحو إخوانه المتعطشين للعلم ، و لابنائهم المشرفين على الذوبان في المجتمعات البعيدة عن الاسلام !! ؟ ؟

ذلك أن المقيم عندهم بصفة مستمرة له وضع يختلف عن الزائر ، و خاصة إذا كان هذا الزائر يعرف لغتهم ، فانه سيطرح أمامهم أمورا غفلوا عنها ، و ستوضح أمامه رؤيا جديدة لأمور بارزة في مجتمعاتهم ، و تجسمت أمامهم كمشكلة لا بد لها من حل ، لأن نظرات الناس تختلف ، و فراسة الأشخاص تتباين ، كما أن للنفوس رغبة في الأخذ من الوافد الجديد ، و من ثم طرح بعض الأمور المؤرقة ، لعل لديه مساعدة في الحل ، و عمقا و علويا في الاجابة .

إن علماء المسلمين ، و شعورهم نحو إخوانهم في كل مكان ، يجب أن يتأصل في أعماق النفوس ، لأن تركهم في الميدان و حدهم يصارعون الخواء الفكري ، و الجهل بأمور دينهم أمر يوقع طلبة العلم في الحرج الشرعي ، إذ يخشى عليهم من كتمان العلم ، الذي قال عنه رسول الله ﷺ : « من كتم علما ألقه الله بلجام من نار . » و لا دراكم بفضل العلم و أدائه ، و بسط منافعه في الحياة و بعد الملمات كما جاء في ذلك من أحاديث و آثار ، فان نفوسهم و أعمالهم ، يحسن بها ، أن تشبع بذلك ، و تتحمس له عملا بأي جهد كان ، لأن جزاءه من الله ، و هم أحق من النصارى بادراك ما يجب عليهم ، و التحمل في سبيله . . . فلقد أخبرني

## المجتمع الاسلامي عبر التاريخ ( في الطريق لكتابة تاريخنا الحضاري )

بقلم د/ عبد الحلیم عويس

الأستاذ بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض .

لكن الامر في الحضارة الاسلامية مختلف كل الاختلاف . . . فالاسلام لا تحميه طبقة معينة ، بل هو مسؤولية الأمة كلها ، و ابيست المساجد إلا دوراً للأمة كلها ، وهي ذات وظيفة شمولية ، و العلماء مجرد موجهين و معلمين ، لا يملكون أدنى سلطة ، ولم يوجد في الحضارة الاسلامية صراع بين مؤسسات خاصة بالدين ، و مؤسسات خاصة بالدولة ، بل كانت الأمة كلها تستنكر انحراف الحكام . . . و عند ما تياس من تقويم انحرافهم كانت تبعد عنهم ، و تتولى هي بنفسها صناعة حضارتها و حفظ عقيدتها ، منددة قدر الاستطاعة بظلمهم ، عاملة في حدود عدم الاشتباك معهم حتى لا ينهدم البناء ، على إصلاحهم أو التخلص السلي منهم .

إن النسبة هنا لنفوذ الدولة و آثارها كانت محددة و مرصودة و معزولة . . . و حتى العلم لم يكن يؤخذ باطمئنان إلا من رجال الدعوة . . . لامن علماء السلطة . . . و كانت منزلة الحسن البصري و عبد الله بن المبارك ، و الليث ابن سعد ، و المعز بن عبد السلام و عشرات غيرهم من عرقهم حضارتنا ، أعلى من منزلة حكام عصرهم ، مع عظمة بعضهم . . .

و هذه النسبة ، منذ أن قامت الأمة بأمرها ، و وقع الانفصال بين السياسة و الحضارة ، لم تزد - كما ذكرنا - عن عشر الفاعليه الحضارية . . . و تحملت الأمة

أحد الاخوة ممن زار إفريقيا ، بأنه رأى كثيراً من الرجال والنساء ، ممن ترسلهم الكنيسة للتبشير بالمسيحية وهم يتحملون المشاق ، و يغوصون بأقدامهم في الوحل و يتقلون بين القرى مشياً على الأقدام ، متحملين ألواناً عديدة من الصعاب ، و معرضين أنفسهم للخطر و الأمراض ، كل ذلك تحملاً لدينهم و رغبة في نشره ، و هم الذين تربوا في النعيم و الترف ، و عاشوا في أجواء جميلة تتباين كثيراً مع الأجواء التي ذهبوا إليها ، و يمكنون فيها سنين متطاولة ، تحقيقاً لهدف . و رغبة في جذب الناس لعقيدهم .

و ما يحتاجه أبناء المسلمين ما هو إلا جهد أقل من هذا بكثير ، و ما سوف يؤديه الداعية في توجهه للديار البعيدة لانقاذ إخوانه أقل بكثير من عمل أولئك المبشرين . . . و ما سوف يجده عند الله أجراً مدخراً إن هو إلا احسن النية ، و صدق في القول و العمل ، يعادل الدنيا و ما فيها .

إن الذي يحسن إدراكه ، هو أهمية الشعور ، و عظم المسؤولية ، و خطر النتائج ، و بث ذلك لدى طلبة العلم ليؤدوا ما يجب عليهم ، بل و يبذلوا من أموالهم و أوقاتهم ، و لو بجملة منظمة في الأوقات التي تسمح بها أعمالهم كالصيف بالنسبة للدرسين ، و تحين الوقت المناسب للاجازة بالنسبة للموظفين ، و من ثم تكرار التردد على تلك البلاد بدءاً بالصغير و القليل ، قبل الكبير و العدد الكثير ، ثم الامتزاج معهم فرداً فرداً ، و زيارتهم في أماكنهم ، و النفاذ إلى بواطن نفوسهم ، لكي يشعروا بهذا العهد أن تعلم الدين و الثبات عليه . . . أهم من الغذاء و الهواء للنفس البشرية . . . و بالجهود تكبير الأعمال ، و بالاخلاص يتكفل الله بالنتائج لأن الله يقول لنبيه الكريم : **إِن عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ** ، و يقول : **و أحسن كما أحسن الله إليك** . . .

المسألة - مبتعدة قدر الاستطاعة عن حكامها إما ورعاً أو خوفاً - عبء الفاعلية

الحضارية الباقية . ١١

كانت الأمة الاسلامية - جماعة و حكومة - شيئاً واحداً في عهد الرسول ﷺ و الراشدين . . . و كانت النسبة بالتالي مختلطة ، فالحكومة هي الأمة ، و الأمة مندججة في الحكومة يسعى بذمتهم أدناهم .

و جاء بنو أمية فقدموا خيراً كثيراً للإسلام و المسلمين ، و وسعوا دولة الاسلام بفتوحاتهم العظيمة . . . ولكنهم غلبوا ( الدولة ) و « أساليها » و « مصالحها » و « عقلايتها » على حساب « الدعوة » و « الأمة » و الضمير الاسلامي ، و العاطفة الاسلامية العامة نحو آل بيت الرسول ﷺ ، و وقعوا من جراء تقوية « الدولة » على حساب الدعوة و الأمة في أخطاء كثيرة .

فقد حركوا الصراع العنصري بين القبائل العربية ليضربوا المضربة بالبنية ، ثم البنية بالمضربة ، و يسودوا هم الأمور ، و سلطوا على الأمة مجموعة من الجبايرة - مهما كانت لهم الأعذار التي تلتبس لهم فقد وقعوا في أخطاء آذت الضمير الاسلامي ، و جعلت وجدان الأمة ينفصل عن بنو أمية ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي و آل المهلب و زياد بن أبيه و خالد بن عبد الله القسري على رأس هؤلاء . . . !

بالإضافة إلى عوامل أخرى كثيرة جعلت الأمة تحزم امرها و تحمل وحدها عبء الرسالة الالهية و الفاعلية الحضارية ، و ساعد على تقوية هذا الاتجاه أن التنظيم الاجتماعي للأمة الاسلامية كان لا يدع للحكومة مجالاً كبيراً في حياة الجماعة ، فكل ما نسميه نحن اليوم بالمرافق و الخدمات كان من مسؤوليات جمهور الناس دون الحكومة (١) .

(١) د/ حسين مؤنس : عالم الاسلام ٢٠٩ .

و جاءت الدولة العباسية فحشت على خطأ الامويين ، بل إنها فقدت بعض مؤهلات بنو أمية كما فقدت بعض الاراضي الاسلامية التي كانت تحت بنو أمية أيضاً ، و ظهرت دول مستقلة عنها مثل بنو رستم و الأدارسة و بنو مدرار في المغرب و بنو أمية في الأندلس . . . و بالتالي ازدادت الأمة ابتعاداً عنها و اعتماداً على نفسها ، حتى في ميادين الجهاد التي تقاعست فيها الدولة إلا فيما يمس سيادتها المباشرة ، و تألفت جماعات ( المطوعة ) و المرابطين على الثغور ، و المحتسبين بجهادهم . . . و بقي أمر الدولة محصوراً فيما يثبت قواعدها ، و في الحماية الخارجية لأرض الاسلام التي تقع تحت أيديها ، و قد تعلم الناس كيف يديرون أمورهم و يحلون مشاكلهم دون حاجة إلى عون من حكومة ، خصوصاً عند ما ساءت الأحوال و تدهورت خلال العصر العباسي الثاني ، ففي العراق و مصر و الشام - مثلاً - تحول الحكم خلال القرن الرابع الهجري و ما بعده - إلى أداة وظيفتها الرئيسية جباية المال لسد حاجات رجال الدولة و جندهم . (١)

و قد تطورت الأمور فاتجهت تطورت السياسية إلى تسلط عناصر محترفة من الجند على الحكم ، كالحراسانيين الايرانيين ، ثم الأتراك ، ثم المماليك . . . و مع هذا التطور ، تخلى العرب عن لعبة الصراع على الحكم ، و شاركوا في بناء الحضارة الاسلامية ، و اتجهوا إلى العلم ، فقدموا إنجازات طيبة للحضارة الاسلامية بعد أن أضعوا قروناً كاملة في المشرق و الأندلس في الصراعات الدموية تحت شعار أحقيتهم في الحكم !! و ارتفع شأن أصحاب الوظائف المدنية أو أرباب الأقاليم - كما كانوا يسمون - حتى أصبحوا يناظرون الحكام و القادة و المحاربين أو أرباب السيوف ، و عن هذا الطريق وصل الأفراد من أبناء الجماهير

(١) المرجع السابق ٢١١ .

الى نصيب طيب من السلطان والجاه ، فالى جانب أصحاب السلطان والقادة والجمود و حكام النواحي - و كلهم كانوا من الأجناس التى احترفت الحرب و احتكرت شؤون الحكم فى العالم الاسلامى - قام « الوزير ، و « الكاتب ، و « كتاب ديوان الانشاء ، و أهل الحساب و الشؤون المالية ، و « القضاة ، و « الفقهاء ، و « أهل العلم - و « الشيوخ ، و كان هؤلاء قابضين على نصيب كبير من زمام للحكم - فعلا - و هذا النصيب هو الذى استطاعت أن تصل إليه و تحتكره الجماهير فى مختلف بلاد الاسلام . ( ١ )

و بهذا عرف أهل العلم من أبناء الشعوب الاسلامية كيف يشقون لشعوبهم طريقاً واسعة إلى القوة والجاه ، وسط تطاحن الأتراك و المماليك ، ممن استأثروا بالحكم فى الجناح الشرقى لعالم الاسلام كله ، و كان لوصول أهل العلم إلى ذلك الجاه أثره الطيب فى تحسين الاحوال العامة فى المجتمع ، فهم الذين ظلوا يتمسكون بعقائد الاسلام و شريعته و علومه و مبادئه و أخلاقياته و تراثه المعنوى ، و يذكرون الناس بالمثل الاسلامى الأعلى الذى ينبغى السعى لادراكه !! ( ٢ )

بل إن غير المسلمين كانوا يجدون فى المجتمع الاسلامى الفرصة المواتية للعمل الحضارى أكثر مما يجدون فى أى مجتمع آخر فى عالم العصور الوسطى . . - و عند ما تحدث ( ول ديورانت ) عن العلوم عند اليهود ذكر أن العلوم الطبيعية و الفلسفة عند اليهود تكاد أن تنحصر كلها فى بلاد الاسلام ، و ذلك أن المقيمين فى البلاد المسيحية فى العصور الوسطى - كما يقول « ول ديورانت ، كانوا بمعزل عن جيرانهم ولذا لجأوا إلى التصوف و الخرافات و أخذوا يمنون أنفسهم بمجيء مسيح ينقذهم مما هم فيه ، و تلك كلها ظروف هى أسوأ

(١) المرجع السابق ٢١٢ .

(٢) المرجع السابق ٢١٤ .

ظروف يمكن إن ينشأ فيها العلم . ( ١ )

أما فى العالم الاسلامى فقد وصل اليهود إلى أرقى المناصب ، و كادوا يحتكرون حرفاً بأكملها لهم ، و استفادوا من علوم المسلمين الطبيعية ، و قد سيطروا على فن الطب فى مصر بعد قدوم ابن ميمون إليها عام ١١٦٥ م . ( ٢ ) و قد تكون كتب التاريخ العام قد ظلت أعلام حضارتنا ولم ترصد حياتهم كما رصدت حياة الحكام و العساكر . . . وهذا صحيح . بل هذه هى مشكلة منهج كتابة تاريخ الأمة الاسلامية حتى اليوم .

و حتى كتب التاريخ الحضارى ، فقد صيغت بطريقة مجملة ، فلم تتبع حياة صناع الحضارة بالتفصيل الكافى ، و قد نجد ترجمة عالم كبير عاش سبعين سنة ، و قدم عشرات الكتب ، و خرج أجيالاً عالمة مجاهدة صانعة ، ترد فى مساحة لاتزيد على صفحة أو صفحتين . . . و قد تكون المعلومات التى فيها مركزة على النواحي العادية التى يكاد يشترك فيها كل العلماء . دون أن تقدم هذه المعلومات رحلة معاناته ، و خلاصة تجاربه ، و أبرز آرائه ، و إطاره ، الفكرى العام ، و إضافاته العلمية و الفكرية بطريقة ترتفع فوق المستوى الاحصائى و البيولوجرافى . يضاف إلى هذا أن الكتب التى عالجت - بحق - تاريخنا الاجتماعى و الثقافى و الاقتصادى ، قد اتجه بعضها - على قلتها - اتجاهاً متميزاً بتأثير بعض الضغوط الخارجية ، فجاء كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهاني - مثلاً - تلبية لتوجه شعوبى و عقدى ضد العرب و ضد أهل السنة و لخدمة الحكم البويهى الشيعى الذى كان قد نبه فى التسلط على الخلافة العباسية .

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ١٠٨/١٤ .

(٢) المرجع السابق ١٠٩/١٤ - ١١٠ .

لقد كان أبو الفرج الأصبهاني ( ت ٣٥٦ هـ ) من أحفاد مروان بن محمد من بني أمية ، و كان يعيش تحت مظلة السيطرة البويهية على الخلافة العباسية . . . و خوفاً من أن يحسب على بني أمية ، و يقال إنه ناصبي يعادي آل البيت الذين يرفع شعارهم بنو بويه . . . تظاهر بحب آل البيت و غالى فيه ، وشوه تاريخ بني أمية بكل ما يستطيع من وسائل ، و قد كتب الأغاني بأمر من وزير معز الدولة البويهى ( إبراهيم بن عبد الله بن زيد ) الذى كان أبو الفرج من أقرب ندمائه الخبيثين به ، و كان الناس فى ذلك العهد - كما يقول ياقوت الحموى فى ترجمته لأبى الفرج - يحذرون لسانه ، و يتقون هجاءه ، و يصبرون فى مجالسته و معاشرته و مواالته و مشاربته على كل صعب من أمره لأنه كان وسخاً فى نفسه ثم فى ثوبه و نعله . . . ( ١ )

ومع ذلك فان مؤلفات أبى الفرج تمثل - مع قدر من التحفظات - أكثر مؤلفات رصدت الحصيلة الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية للأمة الاسلامية فى عصره ، و حسبنا أن نذكر مؤلفات - غير الأغاني - لنعرف كيف أنه تطرق إلى موضوعات كثيرة غير التاريخ السياسى ، فن مؤلفاته مقاتل الطالبين ، و كتاب أخبار القيان ، و كتاب الأمام الشواعر ، و كتاب المماليك الشعراء و كتاب الأدباء ، و كتاب أدب السماع ، و كتاب أخبار الطقيليين ، و كتاب مجموع الأخبار والآثار ، و كتاب الخمارين و الخمرات ، و كتاب الفرق و المعيار فى الأوغاد و الأحرار ، و كتاب دعوة النجار ، و كتاب أخبار جحظة البرمكى ، و كتاب جمهرة النسب ، و كتاب نسب بنى عبد شمس و كتاب نسب بنى شيان ، و كتاب نسب المهالبة ، و كتاب نسب بنى تغلب . و كتاب الغلمان المغنين ، و كتاب مناقيب الخصيان (١) ياقوت : معجم الأدباء ص ١٣ ص ١٠١ ترجمة ياقوت طبع بيروت .

عمله للوزير المهلبى فى خصيين مغنيين كانا له ، وله بعد تصانيف جياذ فيما بلغنى ، كان يهتفها ويرسلها إلى المسؤولين على بلاد المغرب من بنى أمية ، و كانوا يحسنون جائزته ، لم يعد منها إلى الشرق إلا القليل . ( ١ )

و هناك قدر من التحيز الفكرى يمكن أن يوجه - بدرجة ما - إلى كتب الجاحظ - مع أنها من أفضل الكتب فى التاريخ الاجتماعى الاسلامى . . .

وقد تكون أنقى الكتب و أوفاهما فى هذا المجال ، كتب الرحالة و الجغرافيين كائين بطوطة و البكرى و ابن جبير و ابن فضلان و مؤلفات الحسبة و كتب الفتاوى و الفقه و الكتب المتخصصة فى السياسة الشرعية و الأموال و التجارة و المسالك و طبائع الملك و شئون المعاش و أنواع الصناعات مثل كتب الأطباء العلمية و مؤلفاتهم فى الصيدلة و الحيل و الفلك . . . فضلا عن كتب التراجم و الرجال و الطبقات التى تعتبر من أكبر المناجم التى يعترف منها فى حقل التاريخ الحضارى للأمة الاسلامية . . . ذلك التاريخ المظلوم الذى يحتاج إلى أن تتجه إليه الجهود - فردية و جماعية - من جديد . . . إبرازاً للتاريخ الحقيقى للمسلمين ، و تحديداً للإكارة الحقيقية لشرعية الاسلام فى تاريخ المسلمين ، و فى صياغة حياتهم ، و صناعة تطورهم و حضارتهم .

ومع هذا الظلم الذى لحق بالتاريخ الحضارى للأمة ، الاسلامية ، ومع أن كتب التاريخ الاسلامى بصفة عامة ركزت على التاريخ السياسى الذى يتصل بنسبة قليلة محددة تمثل البنية الفوقية الحاكمة . . .

ومع هذا فان الكتب لم تخل من تقرير لحقيقة الدور الذى قام به صناع هذه الحضارة من علماء و مفكرين ، وإن جاء ذلك بطريقة غير مباشرة و إجمالية . . . فعند ما نقرأ الكتب الأساسية للتاريخ الاسلامى ابتداء من الطبرى و حتى تاريخ الجبرقى نرى خط العلماء موازياً و مضامياً لخط الخلفاء و السلاطين و أهل الحكم . و باستثناء الحكام الصالحين الذين لم يخل منهم عصر من العصور ، ولا

(١) ياقوت : معجم الأدباء ص ١٣ ص ٩٩ - ١٠٠ ترجمة ياقوت طبع بيروت

دولة من الدول ، كماوية وعبد المالك و الوليد وعمر و هشام في الدولة الأموية  
و أبي جعفر والمهدي و الرشيد و المأمون و المعتصم في الدولة العباسية ، وباستثناء  
الممتازين في الأندلس مثل الداخل و هشام الرضا وعبد الرحمن الأوسط والثالث  
والحكم والمستنصر . . . و الممتازين في المغرب كـ بعض ولاية الأغالبة ، و بنى رستم  
و الادارسة و بنى واسول ، فضلا عن معظم المرابطين و بعض الموحدين . . .

بعض ولاية بنى مرين ، و بنى حفص و بنى زيان . . .  
و باستثناء بعض الممتازين - كذلك - وهم كثيرون في السلاجقة ، ثم كبار  
الأتابكة الحكام والعلماء مثل عماد الدين زكي ونور الدين محمود ثم صلاح الدين  
الأيوبي الكردي ، ثم كبار المماليك من أمثال سيف الدين قطز وركن الدين  
و بيبرس ، وسيف الدين قلاوون ، و ابنه الناصر محمد وغيرهم . . . و باستثناء  
بعض الحكام العثمانيين وعلى رأسهم محمد القاتح و السلطان عبد الحميد . . . باستثناء  
هذه الطبقة من كبار الخلفاء و السلاطين و أهل الحكم ، نجد أن معظم ما نال  
الشعوب الإسلامية من خير كان الفضل فيه راجعاً إلى أهل العلم ، سواء من ولى  
منهم المناصب ، و من اكتفى بجاه العلم و قنع بركن في دار أو في مسجد ،  
ومضى يدرس و يؤلف و يعلم الناس ، و يخاطب أهل الحكم في مصالح المسلمين ،  
ويرد الأذى عنهم ( ١ ) .

و قد فهم العلماء في حضارتنا أنهم مسئولون عن الأمة ، و أنهم داخلون  
في أولى الأمر ، و يؤكد ذلك أن الشائع في حضارتنا لقوله تعالى : ( أطيعوا  
الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم ) أن أولى الأمر هم الرؤساء و أهل  
العلم ، ( انظر مادة أمر ، في لسان العرب ) و من هنا كان مشايخ الأزهر  
و أساتذة القرويين و الزيتونة هم طلائع النهضة ، و أبطال الاستقلال و دعاة  
الأصالة ، و المحافظين على مصالح الناس .

و قد اشتبكوا مع الولاة الظلمة ، و وقفوا مع العامة ، و كانوا سبباً في

( ١ ) د/ حسين مؤنس : عالم الإسلام ٢١٤ - ٢١٥ .

اقالة ولاة و في تثبيت آخرين ( ١ ) .

و بينما ارتبطت الكنيسة و رجالها في التاريخ الأوربي بالعداء للشعب ،  
و الوقوف مع السلطة و مقاومة الفكر و الحربة و التقدم ، كان الأمر على العكس  
من ذلك في حضارة الإسلام ، فقد كان علماء الإسلام هم قادة الشعب ، و رواد  
التحرر و النهضة الحقة . . . و كان طبيعياً - و حتمياً - أن يكون الأمر كذلك  
لأنهم جزء من الشعب لا يملكون سلطة كهنوتية ولا يفضلون الشعب إلا بعلمهم  
و جهادهم الأكبر و الأصغر . . . بينما الشعب كله ( رجال دين ) و بالتالي فالشعب  
مثلهم يتحمل قدر طاقته جزءاً من المسؤولية ، وله الصلاحيات الكاملة في إن  
يحاسبهم ، و يرفض عملهم و فتاواهم إن خانوا مبادئ الإسلام و أصبحوا مجرد  
موظفين لدى السلطة ، داخلية كانت السلطة أو خارجية ،

و قد كان الشعب دائماً يشعر بمسئوليته عن الحضارة الإسلامية ، وكان دائماً  
يملك القدرة على التفرقة بين ( علماء الإسلام ) و ( علماء السطان ) و ( فقهاء  
الحق ) و ( فقهاء المصلحة ) . . . و كانت بغداد في عصر عظمتها تخرج كلها لتستقبل  
العالم الزاهد المجاهد عبد الله بن المبارك بدرجة أكبر مما تستقبل به خليفته حتى إن  
أم الخليفة عجبت للأمر و قالت : هذا هو الملك . . . إنه ملك لا تدفع إليه  
منفعة مالية ولا شرطة عسكرية ! .

كان نسيج المجتمع كله يبنى على الإسلام . . . و حتى الفئة الحاكمة المعزولة ،  
كان للإسلام وجود في حياتها ، على الرغم من تفلتها في أحقاب كثيرة . . . أما  
الشعب الذي يصنع الحضارة فقد كانت القوانين و النظم و التقاليد التي تحكمه  
مستقاة من الإسلام .

( ١ ) انظر : جلال كشك : و دخلت الخيل الأزهر ( نماذج من هؤلاء العلماء

المجاهدين في العصر الحديث ) .

بينهم الجرح و التعديل تارة على مقاييس خاصة للحامد و المساوىء ، و تارة جرياً على عواطفهم نحو من يصفونهم ، فتقرض قصائد في مدح أناس ليشاد بهم ، و يرفع من مكانتهم في أعين الناس ، و ينوه بذكرهم ، كما تقال قصائد في هجو أناس ليشهر بهم ، و يحط من مكانتهم ، فينتشر في الناس ذكر الممدوحين و المهجورين .

و كان ذلك - كما هو لا يزال - يدخل فيه الزيف و التزوير لا سيما عندما لم يكن الجرح و التعديل تحت مقاييس إنسانية خلقية معتبرة ، بل إذا كان يصدر مطلق الجماع من عاطفة عشواء ، فيسدل على المجروحين و المعدلين ستاراً كشيئاً لا يتبين بسببه ما وراءه فتبقى الوجوه الحقيقية بعيدة عن الأنظار ، و تظهر الوجوه الملونة التي لونها أيدي الناس .

فكثيراً ما تتحكم الأهواء و الشهوات في الحكم على إنسان . لأنه لم تكن هناك قاعدة رصينة و لا مقاييس صحيحة لاصدار الأحكام على الناس خيراً أو شراً .

### المقياس الاسلامي في المدح و الذم :

و تناول الاسلام - فيما تناول كثيراً من العادات و التقاليد و الاعراف بالاصلاح و التهذيب و توجيهها وجهة إسلامية خالصة - هذه النزعة المتأصلة في الناس لمدح الرجال أو ذمهم - فوجهها توجيهها صالحاً و استعمالها في مصلحة العلم و الانسان و المدنية ، فحد حدوداً و وضع مقاييس لمدح الناس أو عيهم ، و وضع الضرورة - وهي قد تكون قانونية بحتة و قد تكون خلقية و قد تكون طبيعية - أساساً و مقياساً لكل ذلك ، فكان أن أمر القرآن الكريم :

( يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ) ( ١ ) .

( ١ ) الآية ٦ سورة الحجرات .

## علم الجرح و التعديل

الأستاذ سلمان الحسيني الندوي  
أستاذ بكلية الشريعة بجامعة ندوة للعلماء

### الجرح لغة :

الجرح : لغة من جرحه يجرحه إذا أثر فيه بالسلاح ، و جرحه : أكثر ذلك فيه ، قال الخطيب :

ملوا قراه و مرتبه كلابهم و جرحوه بأنياب و أضراس و يقال جرح الحاكم الشاهد إذا أثر منه على ما تسقط به عدائته من كذب و غيره ، و قد قيل ذلك في غير الحاكم ، فقيل جرح الرجل غض شهادته ( ١ ) .

### التعديل لغة :

و أما التعديل فأصله عدل ، و قال الباہلی : رجل عدل و عادل : جائز الشهادة ، و رجل عدل : رضا و مقنع في الشهادة ، قال ابن بري ، و منه قول كثير : و بايعت ليلى في الخلاء و لم يكن شهود على ليلى عدول مقانع و تعديل الشهود أن تقول : إنهم عدول . و عدل الحكم أقامه . و عدل الرجل : زكاه ( ٢ ) .

### عادة الناس في الجرح و التعديل :

لقد كان الجرح و التعديل بهذا المعنى سنة طبيعية بين الناس ، يتداولون

( ١ ) لسان العرب / مادة ( جرح ) ٢ : ٤٢٢ طبعة دار صادر و دار بيروت .

( ٢ ) لسان العرب / مادة ( عدل ) ١١ : ٤٣٠ - ٤٣١ .

تنوع صفات البشر و تفاوتها الكبير :

و الحياة الانسانية معقدة جداً ، تدثر فيها الصور و الألوان ، و تنوع فيها الأنماط و الأقسام ، فمن رجل تقى عدل ، إلى رجل مستهتر فاسق ، كم بينهما من المفاوز الانسانية ، يحار الانسان في عبورها و يخشى أن يعصى عليه الطريق في اثباتها .

و الأخبار التي تشيع بين الناس منها ما هو كلام مكذوب مزور ، و منها ما هو غاية في الصدق ، و منها ما هو بين هذا و ذاك من خبر مبتور أو ناقص أو مشوه ، أو خبر زائد على الأصل أضيفت إليه أشياء تشبه صميم الخبر فيلتبس الأمر على السامع ، كما أن حاملي الخبر يختلفون في صفاتهم ، و من الصفات ما تظهر و منها ما تخفى على إنسان و قد يخفى ما يكون جلياً عند آخر .

ولا شك أن حامل الخبر له تأثير كبير في الخبر و أدائه ، فإذا كان رجلاً عادلاً صادقاً حافظاً ضابطاً ، كان أدائه أو في و أضبط و أشرح للصدر ، وكلما خفت هذه الصفات خف الوفاء و الضبط في الخبر ، وكلما كان الانسان المؤدى للخبر ، معروفاً بالكذب أو الدس و التزوير أو الإلحاق و الزيادة ، كانت القلوب أبعد عن الاستماع لخبره ، و أنفر من قبوله .

أمر القرآن الكريم بتبيين حاملي الأنبياء :

من هنا كان أمر القرآن الكريم للناس ، بأن يتبينوا حاملي الأنبياء و الفسقة منهم بصفة خاصة حتى لا يقعوا في مهاكة أو مصيبة لقبولهم الأنبياء التي حملوها .

يقول ابن أبي حاتم : « و من ذلك قول الله عز وجل ( إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ) أخبرنا محمد بن سعد العوفي فيما كتب إلى قال حدثني عمي عن أبيه عن ابن عباس قوله ( يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ ) الآية . قال :

كان رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات و أنه لما أتاهم الخبر فرحوا و خرجوا ليتلقوا رسول رسول الله ﷺ ، و أنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجوع إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أن بني المصطلق قد منعوا الصدقة فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً ، فبينما هو يحدث نفسه بغزوهم إذ أتاه رجل فقال له : يا رسول الله إنا حدثنا أن رسولك رجوع من نصف الطريق ، و إنا خشينا أن يكون رده كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا ، و إنا نعوذ بالله من غضب رسوله ، و إن رسول الله ﷺ استغشهم وهم بهم فأنزل الله - عز وجل - عذرهم فقال : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (١) (٢) .

تصح الرواية بنقل الراوي الصادق العادل :

قال أبو محمد ( عبد الرحمن ) : لما أخبر الوليد بن عقبة بن أبي معيط النبي ﷺ بامتناع من بعث إليهم مصدقاً فقبل خبره لصدق الوليد و ستره عنده ، و تعيظ عليهم بذلك ، وهم بغزوهم حتى نزل عليه القرآن ( إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة ) فكيف عند ذلك عنهم ، دل على أن السنن تصح عن رسول الله ﷺ بنقل الرواة الصادقين لها (٣) .

(١) الآية ٦ - سورة الحجرات .

(٢) الجرح و التعديل لابن أبي حاتم (طبع دائرة المعارف العثمانية بجيدرآباد -

ج ١ قسم ١ ص ٥ .

(٣) الجرح و التعديل ج ١ قسم ١ ص ٦ و قد ذكر الحافظ ابن كثير تفصيل القصة في شرح هذه الآية الكريمة ( انظر تفسير ابن كثير ) .

وإذا كان القرآن الكريم قد أمر بتبين الرواة والمخبرين فإنه حدد أولئك بوصف « الفاسقين » لأنه من البعيد عن المؤمن الصالح أن يصدر عنه كذب أو زور أو رجم بالظنون، فالذي يلبس فيه الفسق أو يشك فيه أو يكون حاله مجهولاً يلزم التحقق من أمره وتبين حاله، حتى لا تكون الإصابة على جهالة .  
لا يجوز التجسس و سوء الظن و لكن لا بد من الحزم :

و لكن في نفس الوقت ينبغي أن لا يصل هذا البحث و التفتيش الذي أمر به في تبين أحوال الناس إلى حد الهوس و الهواية فتقطع الرحم و تفكك الأواصر ، و ترفع الثقة و الأمان من المجتمع ، و قد حرم القرآن الكريم كثيراً من الظن و التجسس و الغيبة .

« يا أيها الذين اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن اثم و لا تجسسوا و لا يعتب بعضكم بعضاً ، أوجب أحدهم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه و اتقوا الله إن الله تواب رحيم » (١) .

و ذلك لأنه إذا فتح هذا الباب ، و بدأ التجسس المريب ، لكان للظنون مدخل إلى كل راو و كل رواية ، و لما أمكن الاعتماد على شخص و أخباره ، و لما كان القرآن العظيم نزل ليضبط أمور المجتمع و يصلحه و يقيمه على ميزان القسط و الاعتدال ، فإنه يأمر أتباعه في جانب باجتنب الظنون ، و في جانب آخر يأخذهم بتريية صارمة في صدق القول و العمل ، و يقف موقفاً حاسماً شديداً من الكذبة المزورين القاذفين ، فيرد شهادتهم للابد ، و يسقط عدالتهم فيقول : ( و لا تقبلوا لهم شهادة أبداً و أولئك هم الفاسقون ) (٢) .

(١) الآية ١٢ - سورة الحجرات .

(٢) الآية ٤ - سورة النور .

و يأمر الموتنين أمراً صارماً بأن يؤدوا أماناتهم - و من أهمها العلم و الاخبار - كاملة صحيحة غير منقوصة ( فليؤد الذي أو تمن أمانته و ليق الله ربه ، و لا تكتموا الشهادة و من يكتمها فإنه آثم قلبه ) (١) .

### الشناعة في الحديث :

و جاءت أحاديث تؤكد هذا المعنى و تشرحه ، و تشدد الأمر في التحديث بالظن فضلاً عن الكذب و الزور ، فقد قال نبينا ﷺ .

« من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » (٢) .

و قال ﷺ .

« لا تكذبوا على ، فإنه من يكذب على يلج النار » (٣) .

و قال ﷺ في الحديث المتواتر عنه : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » (٤) و قال عليه الصلاة و السلام : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » (٥) .

و عن سفیان بن حسين قال : قال لى إياس بن معاوية : اياك و الشناعة في الحديث ، فإنه قلما حملها أحد إلا ذل في نفسه و كذب في حديثه » (٦) .

(١) الآية ٢٨٣ - سورة البقرة .

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه انظر صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد

عبد الباقي ١ / ٩ .

(٣) المصدر السابق ١ / ٩ .

(٤) المصدر السابق ١ / ١٠ .

(٥) مقدمة صحيح مسلم ١ / ١١ و معنى كلامه : أنه حذره أن يحدث بالأحاديث

المنكرة التي يشنع على صاحبها و ينكر و يفتح حال صاحبها فيكذب

أو يستتراب في رواياته فتسقط منزلته و يذل في نفسه ( انظر شرح مسلم

للنووي ج ١ ص ٧٦ طبعة ولا .

الجرح لقصد حفظ الشريعة نصيحة ليس بغيبة :

و ضرب رسول الله - ﷺ - مثلاً عملياً في الجرح و التعديل و المدح و الذم فدح أناساً و ذم بعض الناس .  
 عن عائشة - رضی الله عنها - ، أن رجلاً استأذن على النبي - ﷺ - فقال : ائذنوا له فلبس ابن العشيرة أو بئس رجل العشيرة ، فلما دخل الآن له القول ، قالت عائشة : يا رسول الله ! قلت له الذي قلت فلما دخل ألت له القول ؟ ، قال : يا عائشة إن شر الناس منزلة يوم القيامة من و دعه أو تركه الناس اتقاء فحشه ، (١) .

قال الخطيب البغدادي :

« ففى قول النبي - ﷺ - للرجل : بئس رجل العشيرة دليل على أن إخبار المخبر بما يكون فى الرجل من العيب على ما يوجب العلم و الدين من النصيحة للسائل ليس بغيبة إذ لو كان ذلك غيبة لما أطلقه النبي - ﷺ - و إنما أراد عليه السلام - بما ذكر فيه - و الله أعلم - أن بئس للناس الحالة المذمومة منه و هى الفحش فيجتنبوها لا إنه أراد الطعن عليه و الثلب له .

و كذلك أئمتنا فى العلم بهذه الصناعة إنما أطلقوا الجرح فىمن ليس بعدل لتلا يتخطى أمره على من لا يخبره ، فيظنه من أهل العدالة فيحتج بخبره ، و الاخبار عن حقيقة الأمر إذا كان على الوجه الذى ذكرناه لا يكون غيبة ، (٢) .

« و عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة و هو غائب

(١) أخرجه مسلم فى كتاب البر و الصلة باب (مدارة من يتقى فحشه) انظر صحيح مسلم (٢٠٠٢/٤) نشر دار الافتاء السعودية بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

(٢) الكفاية : ٣٨-٣٩ .

بالشام ، فأرسل إليها وكيله بشعير فخطته ، فقال : و الله مالك علينا من شيء ، فجاءت إلى رسول الله - ﷺ - فذكرت ذلك له ، فقال ليس لك عليه نفقة ، و أمرها أن تعتد فى بيت أم شريك ، ثم قال : تلك امرأة يغشاها أصحابي ، اعتدى عند عبد الله ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده ، فإذا حملت فأذنيني ، قالت : فلما حملت ذكرت له إن معاوية بن أبى سفيان و أباهم خطباني ، فقال رسول الله - ﷺ - أما أبوجهم فلا يضع عصاه من عاتقه ، و أما معاوية فصعلوك لا مال له ، انكحى اسامة بن زيد ، قالت : فكرمته ، ثم قال : انكحى اسامة بن زيد ، فنكحته فجعل الله فى ذلك خيراً و اغتبطت به ، (١) .

قال الخطيب :

« فى هذا الخبر دلالة على أن اجازة الجرح للضعفاء من جهة النصيحة لتجنب الرواية عنهم ، وليعدل عن الاحتجاج بأخبارهم لأن رسول الله - ﷺ - لما ذكر فى أبى جهم أنه لا يضع عصاه عن عاتقه ، و أخبر عن معاوية أنه صعلوك لا مال له عند مشورة استشير فيها لا تعدى المستشير ، كان ذكر العيوب الكامنة فى بعض نقلة السنن التى يؤدى السكوت عن اظهارها عنهم ، و كشفها عليهم ، إلى تحريم الحلال و تحليل الحرام ، و إلى الفساد فى شريعة الاسلام أولى بالجواز و أحق بالاظهار ، .

الوصف بين الغيبة و التعريف :

« أما إذا ذكر الرجل عيوب أخيه يقصد بها الوضع منه ، و التدقيق له و الاضرار به فيما لا يعود إلى حكم النصيحة فهو غيبة ، .

(١) أخرجه مالك فى الموطأ ٣١/٢ طبعة مصطفى البابي الحلبي بشرح السيوطي .

عن عائشة - رضى الله عنها - إنها ذكرت امرأة و قالت : إنها قصيرة

فقال رسول الله - ﷺ - اغتبتها ، (١)

و روى عن أبي رهم الغفارى و هو من الذين بايعوه - ﷺ - تحت

الشجرة ، يتحدث عن غزوة تبوك و فيه بقول ،

و طفق رسول الله - ﷺ - يسألني عن تخلف من بنى غفار فأخبرته

فاذا هو يسألني : ما فعل الزفر البيض ، و قال حجاج ( و هو راوى السند )

الجر الطوال انثطاط فحدثه بتخلفهم ، فقال : ما فعل السود الجعد القطاط

( و قال حجاج ) القصار . . . (٢)

فالكلمتان فى القصر لفظهما واحد معناهما مختلف ، لأن عائشة - رضى الله

عنها - قصدت العيب والذم ، ورسول الله - ﷺ - قصد التعريف والوصف (٣)

و كذلك فى قضية الافك ، لما سأل رسول الله - ﷺ - أسامة ، وسأل

عليها ، فقال : لم يضيق الله عليك و النساء سواها كثير ، و إن تسأل الجارية

تعرفك ، قالت ( عائشة ) فدعا رسول الله - ﷺ - بريرة فقال : أى بريرة

هل رأيت من شئ يريك من أمر عائشة ، فقالت له بريرة ، و الذى بعثك

بالحق إن رأيت عليها أمراً قط اغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن

تمام عن عجيب أهلها فتأتى الداجن فتأكله ، (٤)

فاذا كان يسأل عن عائشة و هى من هى فى مكانتها و يجب على المسئول

(١) أصل الحديث فى الترمذى ، ٧٢/٢ الطبعة الهندية .

(٢) و أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه ٥٠/١١ .

(٣) الكفاية ٤٠-٤١ .

(٤) الكفاية ٤٠-٤١ .

عنها أن يبين أمرها فى قضية تعارضت فيها الأقوال ، و كان جانب عفافها قويا ظاهراً ، و السؤال يتعدى أناسا ، فكيف براو من رواة الحديث لا يبلغ مكانة عائشة يروى ما يشك فيه ثم لا يجرح ولا يبين أمره ، (١)

أما الاخبار عن رسول الله - ﷺ - فى تزكية أبى بكر و عمرو عثمان و على و غيرهم من كبار أصحابه ، و تزكية جميع الصحابة - بصفة عامة - فهى معروفة فى كتب الحديث ، مثورة فى أبواب المناقب من كتب الصحاح و السنن .

نبوءة الرسول ﷺ عن الدجالين الكذابين و العدول المؤمنين :

هذا و قد كان رسول الله - ﷺ - يعرف أنه يأتى أناس بعده دجالون

يكذبون عليه ، و يعشون بهذا الدين ، و يحرفون النصوص ، فكان يحذر أصحابه منهم .

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال :

سيكون فى آخر امتى أناس يحسدونكم بما لم تسمعوا أنتم و لا آباؤكم ، فإياكم ، و إياهم ، (١)

و عنه قال : قال رسول الله - ﷺ - يكون فى آخر الزمان دجالون

كتابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم و لا آباؤكم ، فإياكم ، و إياهم ، لا يضلونكم و لا يفتنونكم . (٢)

و كان يعلم - ﷺ - أن الله - تعالى سيعث لهذا الدين العدول المؤمنين

الذين يحفظونه من تحريف المحرفين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين .

روى ابن أبى حاتم بسنده عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذرى ، قال :

رسول الله - ﷺ - :

يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين

و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين ، (٤)

(١) انظر الكفاية : ٤٢ .

التي مرت بها هذه الكلمات في رحلتها من لغاتها الاصلية إلى اللغة العربية، وما جرى عليها في مستقرها الجديد، وإن ذلك لعمل خطير و جليل، الخائضون فيه كثير والقادرون عليه قليل، خفي المسالك شديد المزالق، تنقصر دونه المهتم و تنقطع الأسباب، تتكاثر فيه الأوهام و تتعثر الأفهام، و معظم الواجبن فيه في العصر الحديث كانوا إما أصحاب هوى، و الهوى إذا دخل حنى العلم من جهة خرجت الحقيقة من جهة أخرى، وإما طلاب حق غير أنهم لم يستكملوا الأدوات المطلوبة للخوض فيه، فمشوا على غير هدى، وزلت بهم الأقدام.

و ذلك أن الخوض في هذا الموضوع يحوج إلى آلات قلما تجتمع في شخص واحد، فهو يتطلب أولاً معرفة اللغات التي انحدرت منها الكلمات المعربة، و متابعة الدراسات اللغوية المتقدمة التي تقوم فيها، و معظم الكلمات الدخيلة جاءت من الفارسية و اليونانية و السريانية، و قليل منها من اللاتينية و العبرانية، فالباحث الذي يريد أن يحقق أصولها لا يحصى له من معرفة هذه اللغات الخمس جميعاً، بالإضافة إلى التضرع من علوم العربية و الوقوف على دقائقها، ثم معرفة علم الأصوات الذي يهدى إلى التغيرات التي طرأت على الكلمات الدخيلة، و يزداد الأمر صعوبة و المطلب بعدا إذا علمنا أن كتاب المعرب يحوى نحو ثلاثين و سبعمائة كلمة،

و لقد قبض الله تعالى لهذا العمل أخيراً عالماً جليلاً و لغوياً ضليعاً، قلما يدانيه - فيما أعلم - أحد من معاصريه فيما اجتمع عنده من كفاءات علمية متعددة تجعله خير من يتصدى لهذه المهمة الجليلة، فهو عالم و واسع الاطلاع طويل الباع في اللغة العربية، و عارف بعشر لغات أخرى بين إجادة وإلمام، و متخصص في فقه اللغة، و متعمق في علم الأصوات، و مع هذا العلم الوافر والفضل الظاهر

من كتب المراجع التي صدرت حديثاً :

## المعرب للجواليقي

تحقيق : الدكتور ف ، عبد الرحيم

عرض : د - محمد أجل ابوب الاصلاحى اندوى

كتاب « المعرب من الكلام الأجمي على حروف المعجم » لأبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ( ٤٦٥ - ٥٤٠ ) من أهم المراجع في بابيه ، فإن الألفاظ الأجمية التي دخلت في اللغة العربية عبر العصور ، و جرت على ألسنة الفصحاء ، كانت مبثوثة في كتب اللغة ، فجاء أبو منصور ، وجمعها في كتاب مفرد ، و رتبها على حروف المعجم ، فكان كتابه أكبر كتاب في ذلك العصر .

طبع كتاب « المعرب » مرتين من قبل ، طبعه أولاً المستشرق الألماني ادورد زخاو ، و صدرت طبعته في ليبزيك سنة ١٨٦٧م مذيبة بتعليقاته بالألمانية ، ثم حققه المحدث الكبير الأستاذ أحمد محمد شاكر رحمه الله عن عدة نسخ تحقيقاً جيداً و ظهرت هذه النشرة الثانية سنة ١٩٤٢م بالقاهرة .

و أخيراً صدر الكتاب ، من دار القلم بدمشق ، في طبعة جديدة أنيقة ، تختلف عن الطبعتين السابقتين في طبيعتها ، و تفوقهما في جمالها و روعتها ، فهي ليست تحقيقاً جديداً لكتاب « المعرب » بالمعنى المعروف ، فإن عمل المحقق أن يجتهد في إخراج النص ، كما صدر عن مؤلفه ، سليماً من آفات التصحيف و التحريف ، ليعتمد عليه العلماء و الباحثون في دراساتهم المختلفة ، و كان الأستاذ أحمد شاكر قد فرغ من ذلك في نشرته ، أما هذه النشرة الجديدة فانها قصدت إلى عمل آخر وهو تحقيق أصول الكلمات الدخيلة الواردة في كتاب المعرب ، و تتبع المراحل

تراه خفيف الظل ، سهل الخليقة ، جهم التواضع ، يكاد حسن أدبه يغر كثيراً من الناس عن علمه ، بعد ما صار العلم في زماننا تشدقاً وتفهماً ونفخة وجمعة بلاطن ، ألا ، و هو الأستاذ الدكتور ف ، عبد الرحيم (١) مدرس علم الأصوات في كلية اللغة العربية ، و المشرف في شعبة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، قد اشتهر بجزته الواسعة في مجال تعليم اللغة العربية و كتابه المسمى « دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها » ، في ثلاثة أجزاء متداول في عدد من البلدان عرفه المتخصصون بمقالاته و تعقيباته المهدودة المنشورة في صفحات مجلة مجمع اللغة العربية بدعشق و مجلة المجمع العلمي الاردني و كتابه اللطيف « الدخيل في اللغة العربية الحديثة و لهجاتها » ، أما قراء ملحق التراث فظالما أمتهم بمقالاته القصيرة في أصول الكلمات المعربة أو تاصيل بقايا الفصح في اللهجات العربية ، فاطلعوا على طرف من علمه العزيز ، والحق أن شخصية العلية بكافة جوانبها تجلت لأول مرة في نشرته هذه لكتاب المعرب .

تبدأ هذه النشرة يبحث قيم جعله الأستاذ المحقق مدخلا لدراسة الكلمات الواردة في كتاب المعرب ، و قسمه إلى ثلاثة أبواب ، الباب الأول فيه فصلان : الفصل الأول في معنى المعرب و الدخيل والمولد ، و الفرق بين هذه المصطلحات الثلاثة ، و الفصل الثاني في ضوابط معرفة الدخيل و ذكر فيه خمسة ضوابط .

(١) الجدير بالذكر أن الدكتور ف ، عبد الرحيم ولد و نشأ في الهند ، و هو من أهل ولاية « تاملنادو » نال شهادة ليسانس و ماجستير في اللغة الانكليزية و آدابها من جامعة « مدراس » ، ثم توجه إلى اللغة العربية و حصل على شهادة ماجستير من جامعة عليكرة الاسلامية و شهادة الدكتوراه من جامعة الأزهر في اللغة العربية و علومها .

و الباب الثاني في اللغات التي أخذت منها العرب ، و فيه خمسة فصول : الفصل الأول في اللغة الفارسية ، ونبه فيه الأستاذ الفاضل على أمرهم غفل عنه علماء اللغة - و كان منهم من يحمي الفارسية - فأخطأوا في بيان أصول المعربات الفارسية ، و هو أن اللغة الفارسية التي كانت تعاصر العصر الجاهلي و صدر الاسلام هي اللغة الفهلوية و ليست الفارسية الحديثة و كانتا تختلفان اختلافاً غير يسير ، ثم أشار الباحث إلى نقط الخلاف بينهما ، و منها أن بعض الصيغ بالفهلوية كانت تنتهي بكاف ، و حذفت هذه الكاف بالفارسية الحديثة نحو كلمة « ديباك » بالفهلوية صارت « ديبا » بالفارسية الحديثة ، فالكلمة المعربة « ديباج » من « ديباك » ، و إذا كانت الكاف بعد حركة قصيرة تضاف بالفارسية الحديثة لها للاحتفاظ بفتحة الحرف الأخير بعد حذف الكاف نحو كلمة « سادك » بالفهلوية صارت « ساذه » بالفارسية الحديثة ، فالجيم في الكلمة المعربة « ساذج » مبدلة من الكاف الفارسية و ليست من الهاء . الفصل الثاني من هذا الباب في اللغة اليونانية ، و كشف اللثام فيه عن المقصود من كلمة « الرومية » عند اللغويين العرب و الفرق بين اليونانية و الرومية مما اشتبه على كثير من الباحثين ، و الفصلان الثالث و الرابع في اللغتين اللاتينية و السريانية بالترتيب ، أما الفصل الخامس فهو في العريسة و الجشية و الهندية ، و قد أورد في هذه الفصول جملة من الكلمات التي دخلت في العربية منها .

الباب الثالث في تغيير المعرب ، و تناول فيه البحث أنواع التغيير التي طرأت على الدخيل عند التعريب ، و فيه أربعة فصول : الفصل الأول في الابدال غير اللازم الذي أشار إليه سيبويه عند ما قال : « فأبدلوا مكان الحرف الذي هو للعرب عربياً غيره » ، و الفصل الثاني في الابدال اللازم ، و منه تغيير

الحروف و الحركات و تغيير بناء الكلمة، و الفصل الثالث في ضروب أخرى من التغيير تعرضت لها الكلمات الدخيلة لأسباب شتى، و الفصل الرابع في أن العامة تكلمت بالكلمات المعربة من غير تغيير فعاشت الصيغ الأصلية على ألسنتهم .  
هذا الباب الأخير كله يشتمل على فوائد عزيزة و نظرات دقيقة لكن أكثر فصوله طرافة و إمتاعاً هو الفصل الثالث، وهو بحث مبتكر لم يسبق إليه، و ذكر فيه الأستاذ المحقق ثلاثة عشر سبباً أدت إلى الضروب الأخرى من التغيير: منها توهم كون الدخيل جمعاً، و من أمثلة ذلك كلمة « قرميد » أصله اليوناني « قراميدا » فعرب « قراميد » ثم قيل للفرد « قرميد » ونحو « جاموس » أصله الفهلوي Gavmesh فنقل إلى « جواميس » ثم اشتق منه « جاموس » للفرد، و منها توهم زيادة الألف و اللام، و توهم زيادة الألف و النون، و توهم زيادة الواو و النون، و توهم زيادة الألف و اللام، و توهم زيادة أبو، و غير ذلك .

و من جملة الأسباب التي ذكرها الباحث « حذف شطر الكلمة » و أورده عدة أمثلة أطرفها كلمة « أدرة قيلة » يقول في تحليلها الذي هو أبو عذرة : « هي يونانية، و أصلها « هدروكيله » و هو انتفاخ الخصية لا نسكاب سائل فيها، وهو مركب من ( هدر ) أي الماء و ( كيله ) أي الورم، فيكون معنى الكلمة بشطريها ورم في الخصية بسبب نزول الماء فيها، Hydrocele بالانكليزية فحذفوا منها الشطر الثاني و استعملوا الشطر الأول و هو الأدره، و قالوا للصاب بها الأدر و المادور، لم يشر إلى عجمته أحد من اللغويين، أما الشطر الثاني فلم يذهب سدى فإن كان الشطر الأول دخل في السكتب و جرى على أسنة العلماء و الناس المثقفين، فإن الشطر الثاني راج بين العامة، ففي اللسان ( أدر ) : « الأدره » وهي التي تسميها الناس « القيلة »... هكذا نشأت كلمتان من كلمة واحدة ( ص ٨٠ ) .

بعد هذه المقدمة المفيدة الوافية التي استغرقت ٧٥ صفحة من الكتاب يبدأ نص الجواليقي ص ٩١ مأخوذاً من طبعة الأستاذ أحمد شاكر، و قد طبع

النص بالحرف الأسود، و يتلوه تعليقات الأستاذ المحقق، و قد أقام عمود دراسته للألفاظ المعربة على أربعة أمور ذكرها في تصديره قائلاً :

- ١- أعزو الكلمات إلى لغاتها، فقد وقع خطأ في كلام اللغويين في هذا الصدد بالنسبة إلى بعض الكلمات، وسبحان من لا يخطئ، فقد ذكروا أن الأستار و الأسفنت و البند و الروشم و الفندق من الفارسية، هذا ليس بصحيح .
- ٢- أذكر أصل الكلمات الدخيلة مكتوباً بحروفه الأصلية فإن اللغويين لم يفعلوا هذا إلا بالنسبة إلى بعض الكلمات الفارسية،
- ٣- أذكر المعنى الأصلي بالنسبة لبعض الكلمات مع ذكر ما قيل خطأ في أصلها فقيل مثلاً إن الديوان أصل منناه الجن، و الدياج أصله « ديوباف »، نشاجة الجن، و الزنديق أصله « زن دين » أي دين المرأة .
- ٤- أذكر التغييرات التي طرأت على حروف الدخيل و بنائه عند التعريب و اعلمها من الناحية الصوتية . ( ص ٦ )

و ليستكمل جوانب البحث، التزم في منهجه الذي سار عليه في تعليقاته أموراً أخرى جلبت للباحث و القارى فوائد كثيرة، فيشير في تعليقه أولاً إلى مصدر المؤلف و إذا كان المؤلف قد تصرف في العبارة الأصلية تصرفاً غير يسير يورد العبارة الأصلية بتهامها و إذا كان الاختلاف يسيراً يكتفي بذكر موضع الخلاف، ثم يذكر أقوال اللغويين الآخرين فيما يتصل بأصل الكلمة و مدلولها، و يذكر اللغات المختلفة للكلمة إن وجدت، فذكر في كلمة بغداد مثلاً ثلاث عشرة لغة ( ص ١٩٦ ) و إذا كانت الكلمة دخلت في لغات أخرى أيضاً يشير إليها .

و هكذا درس المحقق الفاضل جميع الكلمات الواردة في كتاب المعرب دراسة دقيقة مستوفاة، و وضع ما قاله الجواليقي و غيره من علماء اللغة موضع النقد و التحييص، فصحح أخطاءه و أزال أوهاماً وفتح مغاليق ولكن أسلوبه علمي هادئ رصين، بعيداً عن التبجح و التعالم و الهوى، فلم ير غشاضة في

الاعتراف بأنه لم يقف على أصل الكلمة الدخيلة في عدة مواضع من الكتاب انظر مثلاً ص ٥٠٢ و ص ٥٢٧ و ص ٦٠١ .

و كم من كلمة زعمها بعض اللغويين القدامى دخيلة و أثبت المحقق الفاضل عربيتها نحو البارح ( ص ١٨٤ ) و التجفاف ص ٢٢٣ و السرج ( ص ٤٠٠ ) و التكوير ( ص ٥٤٥ ) و المعزى ( ص ٦٠١ ) و غيرها ، يقول الجواليقي في التجفاف : « فارس معرب ، و أصله بالفارسية تن باه أى حارس البدن ، وفي الحديث قال أبو فرقد : « رأيت على تجافيف أبي موسى الديباج ، فأورد المحقق في تعليقه أولاً أقوال ابن دريد و الأزهرى و الجوهري و الفيروز آبادى ، ثم قال : لم يشر إلى تعريبه إلا المؤلف و تبعه الخفاجى ( ص ٨٢ ) و ذكره أيضاً أدى شير ( ص ٣٤ ) قال الخفاجى و أدى شير إن أصله « تن بناء » و هذا هو الصواب و ما ذكره المؤلف خطأ ، إذ « تن » معناه البدن و « بناء » معناه الوقاية ، لكن أين هذا اللفظ من « تجفاف » ؟ لا يكاد الفرع و أصله المزعوم يتفقان في شئ و الصواب أنه عربى ، ففي اللسان : ذهبوا فيه إلى معنى الصلابة الجفوف . . . ( ص ٢٢٣ - ٢٢٤ )

و لنعرف كيف كانت الروح العلمية تحكم منهجه لدراسة الالفاظ الدخيلة نقرأ السطور التي استهل بها الفصل الذي خصصه لذكر ضوابط معرفة الدخيل في مقدمته ، يقول فيها :

« لا يكفي مجرد اتحاد الحروف بين كلمتين لإحداهما عربية و الأخرى أعجمية ، للحكم على الأولى أنها ماخوذة من الثانية ، غير أن نأخذ في الاعتبار أموراً أخرى هامة كاشتقاق الكلمتين و تطورهما عبر العصور و تاريخ الاتصال بين اللغة العربية و اللغة التي منها هذه الكلمة المشابهة للكلمة العربية . . . فكلمة « ألفت » بمعنى الأعرس كثيرة الشبه بكلمة Left الانكليزية و هي بمعنى الشمال ، غير أن هذا مجرد وفاق بين اللغتين ، و ذلك لأن اللغة العربية لم تأخذ كلمات

من اللغة الانكليزية في العصور القديمة ، وكلمة « ألفت » قديمة ولها أصل في العربية و هي مأخوذة من لفته إذا لواه ، و منه يقال للتيس الملتوى أحد قرنيه ألفت .

ثم قال : « وكذلك لا يمكن دفع العجمة عن كلمة دخيلة من غير الرجوع إلى أصلها و تاريخها . . . إن كلمة « بلغم » لم ترد في معظم المعاجم ، و التي ذكرتها لم تشر إلى عجمتها ، و ليس في حروفها ولا في بنائها شئ يحملنا على الشك في عربيتها ، غير أن الذين يعرفون اليونانية يرون أنها مأخوذة من Phlegma اليونانية ، ولها أصل في اليونانية معروف ، فهي مشتقة من فعل يفيد معنى الاحتراق و المعروف أن الأطباء القدامى كانوا يعتقدون أن البلغم نتيجة الاحتراق في الجسم ، فهذه من المصطلحات الطبية التي أخذتها العرب من اللغة اليونانية ، ( ص ١٨ - ١٩ ) .

وقد أحسبت أن أقدم هنا نماذج كاملة من هذا الكتاب تبين للقارى الكريم كيف طبق فيها الأستاذ المحقق منهجه المشار إليه ، و لكن أنى لمطبعنا أن تسعفنا بالحروف اليونانية و العبرانية و السريانية السنسكريتية في وقت واحد ، فنكتفي بما ورد من الأمثلة المقتضبة في هذا العرض السريع عسى أن تكون دالة على ما وراها من الجهد العظيم ، وكم وددنا - ونحن نطالع هذا العمل - لو نهض الأستاذ الفاضل بعمل تال يستدرك على كتاب الجواليقي و يستقصى جميع الكلمات المعربة والمولدة التي دخلت في اللغة العربية فيما بعد و يدرسها مثل هذه الدراسة ، فيستقل بهذا الباب من أبواب المعجم العربي .

ولا يفوتنا في ختام هذه العجالة أن نقدم تحياتنا للأستاذ الفاضل الدكتور ف، عبد الرحيم على هذا العمل الشايع الذي خدم به اللغة العربية الشريفة و الذي سيبقى مرجعاً معتمداً في موضوعه للباحثين ، و نشكره على هذه الهدية النفيسة التي أثرى بها المكتبة العربية الزاخرة ونسأل الله تعالى أن يبارك في عمره وجهوده و يوفقنا و إياه لما يحب و يرضاه .

كشف الغمة في مدح سيد الأمة للبارودي

( ٩ ) دكتور غريب جمعة (القاهرة)

يا حائر اللب هذا الحق فامض له  
لا يصرعنك وهم بت ترقبه  
هذا النبي وذاك الجيش متشر  
فالزم حماه تجد ما شئت من أرب  
واحلل رحالك و انزل نحو سده  
أحيا به الله أموات القلوب كما  
حتى إذا تم أمر الصلح و انتظمت  
قام النبي بشكر الله منتصباً  
و طاف بالبيت سبعاً فوق راحلة  
فما أشار إلى بد بمحجنه  
(وفي حنين) إذا ارتدت «هوازن» عن  
تسلم ، و هذا سبيل الرشيد فاستقم  
إن التوهم حتم العاجز الوخيم  
ملء الفضا فاستبق للخير تغتم  
وشم نداء إذا ما البرق لم يشم (١)  
فانها عصمة من أوثق العصم (٢)  
أحيا النبات بفيض الوايل الرزم (٣)  
به عقود الأمانى أى منتظم  
و الشكر فى كل حال كافل النعم (٤)  
قوداء ناجية أمضى من النسب (٥)  
إلا هوى ليد مغلولة و فم (٦)  
قصد السبيل ولم ترجع إلى الحكيم (٧)

سرى إليها ببحر من مللمة  
حتى استذات و عادت بعد نخوتها  
(ويمم) الطائف ، الغناء ثم مضى  
(وحنين) أوفى على وادى «تبوك» سعى  
فصالحوه ، و أدوا جزية و رضوا  
ألقي بها عين ماء لا تبض فشد  
و راود الغيث ، فانهلقت بوادره  
و أم «طيبة» مسروراً بعودته  
ثم استهلقت وفود الناس قاطبة  
فكان عام وفود كلما انصرفت  
و أرسل الرسل ترى لللوك بما  
(و أم) «غالب» أكناف الكديد إلى  
و حين خانت «جذام» خل شوكتها  
و سار منتحياً «وادي القرى» فحسا

- (١) سرى إليها ، وذلك فى ٦ من شوال ، المللمة : الكتيبة المجتمعة ، وكانت مؤلفه من ١٢ ألفاً ، سراة الشبي : أعلاه . (٢) النخوة : العظمة .
- (٣) يمم أى : بعد خروجه من «حنين» و«الطائف» : بلدة قريبة من مكة ، كثيرة الأعتاب والفواكه والنخيل ، ثم مضى عنها : أى بعد محاصرتها ١٨ يوماً .
- (٤) أوفى : أشرف ، و ذلك فى رجب سنة ٩ من الهجرة ، «تبوك» : موضع بين المدينة و الشام .
- (٥) تبض : تسيل ، السنم : الظاهر على وجه الأرض .
- (٦) راود : دعا ، لما أصبح الناس و لا ماء معهم .
- (٧) الوخادة : السريعة السير ، الواسعة الخطو ، الرسم : المؤثرة فى الأرض من شدة الوطء . (٨) مقتم : مستأصل . (٩) القزم : الدنائة .

- (١) شم نداء : أطلب معروفه : يشم : ينظر إليه .
- (٢) السدة : المساحة . (٣) الرزم : السائل .
- (٤) قام إلخ : و كان ﷺ دخل مكة يوم الجمعة فى العشرين من رمضان .
- (٥) القوداء : طويلة الظهر والعنق ، الناجية : السريعة ، النسب : طير سراع .
- (٦) البد : الضنم ، المحجن : العصا المعوجة الرأس .
- (٧) «حنين» : موضع بين مكة و الطائف ، «هوازن» : قبيلة كبيرة ، و كانت مع ما انضم إليها ٣٠ ألفاً ، قصد السبيل : الطريق المستقيم ، الحكيم : المسن ، و أراد به دريد بن الصمة ، و كان ذا رأى .

و أم «خير» ، عبد الله ، في نفر  
و يعم «ابن أنيس» عرض «نخلة» إذ  
ثم استقل «ابن حصن» فاحتوت يده  
وسار «عمرو» إلى ذات «السلاسل» في  
و غزوتان له «عبد الله» واحسدة  
وسار جمع «ابن عوف» نحو «دومة» كي  
و أم بالخيال سيف البحر معتما  
و سار «عمرو» إلى «أم القرى» «لابي  
و أم «مدين» «زيد» فاستوت يده  
و قام «سالم» بالعضب الجراز إلى  
و انقض ليلا «عمير» بالحسام على  
و سار بعث فلم يخطي «ثمامة» إذ  
ذاك المهام الذي لبي بـ «مكة» إذ  
وبعث «علقمة» استقرى العدو ضحي  
ورد «كرز» إلى «العذراء» من غدروا  
وسار بعث «ابن زيد» لـ «لشأم» فلم  
( فهذه ) الغزوات الفر شاملة  
نظمتها راجياً نيل الشفاعة من

إلى «اليسير» فأرداه بلا أتم  
طغى «ابن ثور» فأصماه ولم يخم (١)  
على «بني الغنبر» الطرار والشجم (٢)  
جمع لهم لجيش الشرك مصطلم  
إلى «رفاعة» و الأخرى إلى «إضم»  
يقول سورة أهل الزور و التهم  
«أبو عبيدة» في صيابة حشم (٣)  
سفيان» لكن عدته مهلة القسم  
على العدو و ساق السبي كالغنم  
«أبي عضيلة» فأراد و لم يخم  
عصاه حتى سقاما علقم العدم  
رآه فاحتازه غنماً و لم يلم  
أنى بها معلناً في الأشهر الحرم  
فلم يحمى في خلال الحى من أرم  
«يسار» حتى لقوا برحاً من الشجم (٤)  
يلبث أن انقض كالبازي على اليمس  
جمع البعوث كدر لاح في نظم  
خير البرايا و مولى العرب و العجم  
( و يتبع إن شاء الله )

الأدب الاسلامي :

دور الأدب الاسلامي في الحروب الصليبية

الدكتور عدنان علي رضا النجوى  
الرياض

تاريخ طويل ممتد لم تنوقف فيه النكبات والآلام ، إنها سنة الله في الحياة ،  
حتى يتبلى المؤمنون ويمحص عباد الله ، لقد أدركت أمم الأرض كلها أن هنالك  
أمة تحمل رسالة الله إلى الناس ، تحمل الاسلام ، تجاهد في سبيل الله ، غضبت  
لله و لرسوله ، و من هنا أخذت مع التاريخ تتجمع قوى الضلال في الأرض  
لتحارب المسلمين ، لتحارب أمة الاسلام ، وكان من بواكير المعارك القتال ضد  
الروم ، وامتد هذا القتال قرولاً طويلة ، ابتداء من غزوة مؤتة إلى العصر الأموي  
و العباسي ، إلى يومنا هذا ، و لقد رأينا لمحات من هذا الامتداد في القرون :  
الثاني و الثالث و الرابع للهجرة ، و امتدت المعركة !

و لقد أدرك المجرمون في أوروبا من أهل السلطة و المصالح أن الاسلام  
هو القوة الوحيدة التي تظل ثابتة في ميدانها ، تعطل مسالك إجرامهم ، و تصدم  
عن تهمة جشع وطمع ، و تحمي الديار و النفوس ، و تصون الثروات و الخيرات  
فأخذوا يغرسون في قلوب العامة من النصارى حقداً على الاسلام و المسلمين .  
يصورون لهم القضية في صور دعوة تنصير ، و إنقاذ كنائس و معابد ، و صدقت  
الشعوب هذه الفرية يحركها البابا إربان الثاني و سائر أرباب المصالح و المطامع ،  
فدارت الحروب الصليبية اعتباراً من سنة ١٠٩٥ م ) ، و لمدة قرنين من  
الزمن ، و لقد كان زحف النصارى على بلاد الاسلام زحفاً واسعاً ، اشتركت

(١) العرض : الناحية .

(٢) الطرار : المختلفون ، وهو مانعبر عنه اليوم بـ «النشال» ، الشجم : الخيباء .

(٣) الصيابة : الخيار ، الجشم : ذوو الحياة .

(٤) «العذراء» : اسم المدينة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

ثم يقول :

فخاصوا على دينكم و الحريم محاصة من لا يرى الموت فقدا  
و سدوا الثغور بطعن النحور فمن حق ثغر بكم أن يسدا  
و قال الشاعر « وجيه بن عبد الله بن نصر التنوخي ، أباتاً يصف فيها  
خراب معرة النعمان ، و لكن أعظم مأساة كانت دخول الصليبيين بيت المقدس  
حيث أعملوا السيوف و السلاح في الرجال و النساء و الأطفال و الشيوخ ،  
فقتلوا في الحرم أكثر من سبعين ألفاً ، وقتلوا مثل ذلك في الشوارع و الطرقات  
و البيوت ، حتى كانت مأساة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً في شدة الجريمة و قسوة  
القلب و هول الحقد ، فقال أحد الشعراء (١) .

أحل الكفر بالاسلام ضيماً يطول عليه للدين النجيب  
فحق ضائع و حمى مباح و سيف قاطع و دم صيب  
و كم من مسلم أمسى سلباً و مسلمة لها حرم سلب  
و كم من مسجد جعلوه ديراً على محرابه نصب الصليب

ثم يقول :

أما لله و الاسلام حق يدافع عنه شبان و شب  
فقل لذوى البصائر حيث كانوا أجيوا الله و بحكم أجيوا

و من أقوى الشعراء الذين وصفوا حالة المسلمين ، و هول الحروب الصليبية  
أبو المظفر محمد بن أبي العباس الأيووردي ، و من أجمل قصائده تلك التي مطلعها :  
مزجتنا دماء بالدموع السواجم فلم يبق منا عرضة للمراجم

(١) المصدر السابق : ص ٩٤ .

البعث الإسلامي

فيه انكثرا و ألمانيا و فرنسا و غيرهم ، و استطاع الصليبيون أن يحتلوا قسماً كبيراً  
من دار الاسلام ، و يدخلوا بيت المقدس يوم الجمعة من عام ( ٥٤٩٢ ) ،  
وانطلق عماد الدين الزنكي في مقارعة الصليبيين ، ثم قام من بعده ابنه نور الدين  
محمود ، و صلاح الدين الأيوبي ، و الظاهر بيبرس البندقداري ، و قلاوون ،  
ثم كان إخراج الصليبيين نهائياً على يد الأشرف خليل بن قلاوون ، في حدود  
( ٦٩٢ هـ ) .

خلال هذه الحروب الصليبية قام الأدب والشعر بدور عظيم ، و تدفق من  
القلوب المؤمنة يحض على الجهاد و على ضرورة تحرير البلاد و خاصة بيت المقدس  
و يحلل الأوضاع القائمة و يصورها ، و يستنهض الهمم و يقوى النفوس ،  
و يحيط أبطال الاسلام بالتأييد و الثناء و اللكمة الصادقة الكريمة .  
و كان من أوائل الشعراء « ابن الخياط ، و هو يحض عضد الدولة زعيم  
الجيوش في دمشق ، فيقول : (١) .

و إلى لمهد إليك القريض يطوى على النصح و النصح يهدى  
إلى كم و قد زخر المشركون بسيل يهال له السيل سدا  
و قد جاش من أرض إفريقية جيوش كمثل جبال تردا  
أنوماً على مثل هذى الصفاة و هزلا و قد أصبح الأمر جدا  
بنو الشرك لا ينكرون الفساد و لا يعرفون مع الجور قصدا  
و لا يردعون عن القتل نفسا و لا يتركون من الفتك جهدا  
فكم من فساء بهم أصبحت تدق من الخوف نحرأ و خندا

(١) الشعر الجهاد في الحروب الصليبية ، د . محمد علي المرقي ص ٩٢ .

و فيها يقول :

و إخوانكم بالشام يضحي مقيلهم  
تسومهم الروم الهوان و أتم  
وكم من دماء قد أويحت و من دى  
ثم يقول :

ظهور المذاكي أو بطون القشاعم  
تجرون ذيل الخفض فعل المسلم  
تواري حياء حسنها بالمعاصم

فليتهم إذ لم يذودوا حمية  
وإن زهدوا في الأجر إن حمى الوغى  
دعوناكم و الحرب ترنو ملحمة  
و من الشعراء كذلك « ابن منير الطرابلسي ، الذي مدح عماد الدين الزنكي  
و أثنى على فتحه لحصن « بارين » ، و مدح ابن منير كذلك نور الدين محمود  
و انتصاراته الواسعة على الفرنجة ، فيقول :

أنشرت يا محمود ملة أحمد  
في كل يوم من فتوحك سورة  
همم تحجلت الملوك و راءها  
خر الصليب و قد علت نغماتها  
من بعد ما شمل البلي أصحابها  
للدين يحمل سفره أسفارها  
بدم العثار و ما اقتفت آثارها  
و استوبلت صلواته تكرارها

ولقد مدح الشعراء نور الدين محمود مدحاً كريماً على جلال فتوحاته و نصر  
الله له ، فقال ابن القيسراني في إحدى قصائده :

و كان دين الهدى مرضاته الغضب  
طهارة كل سيف عندهما جنب  
فالحرب تضرم و الآجال تحتطب  
غضبت للدين حتى لم يفتك رضى  
حتى استطار شرار الزند قاذحة

(١) المصدر السابق ، ص : ٩٥-٩٩ .

و الخيل من تحت قتلاها تقر لها  
و النقع فوق صقال البيض منعقد  
قوائم خانهم الركض و الخبب  
كما استقل دخان تحت لهب  
ثم خاطب نور الدين بالمهمة العظمى :

فانهض إلى المسجد الأقصى بذي لجب  
وائذن لموجك في تطهير ساحله  
يوليك أقصى المنى فالقدس مرتقب  
فانما أنت بحر لجه لجب

و امتدت قصائد ابن منير الطرابلسي وغيره من الشعراء في وصف المعارك  
و القتال ، و الاعتزاز بالنصر ، و التحريض على متابعة الجهاد لانقاذ المسجد  
الأقصى ، فذكر ابن منير فتح أنطاكية و مقتل البرنس ، و ذكر العماد الكاتب  
انتصارات نور الدين محمود ، و حمل الشعراء حملة شديدة على الملوك و الأمراء  
الذين لا يشاركون في الجهاد ، ففي القصيدة التي يذكر فيها « أسعد الموصلی ،  
انتصار « صلاح الدين الأيوبي » على الافرنج في معركة « حصن المناقير » يهاجم  
الملوك المتقاعسين فيقول عنهم :

ملوك جلمهم مغرى بظلم  
و مشغول بلمو أو مزاح  
إذا ما جالت الأبطال ولى  
و يقدم نحو جائلة الوشاح  
يرى الانفاق في الخيرات خسرا  
و أنت تراه من خير الرياح

و قد ألهبت انتصارات صلاح الدين الأيوبي مواهب الشعراء ، فأبدعوا  
و أجادوا ، فأمين الدولة « محمد بن عبد الله » المعروف « بسبط التعاويذى » ،  
يذكر انتصار صلاح الدين في معركة مرج عيون سنة (٥٧٥هـ) ، و فيها يقول :  
و نهضت للإسلام نهضة صادق  
و غضبت للدين الحنيف و لم تزل  
غادرت أهل البغي بين مجدل  
لقي الحام و خائف يترقب  
العزمات ترأب من ثأه و تشعب  
في الله ترضى منذ كنت و تغضب

و كذلك الشاعر يوسف بن حسين بن مجاور ، و الشاعر أسامة بن منقذ ،

و بما قاله أسامة ، و هو بالاضافة إلى شعره مجاهد في الميدان :

يا ناصر الاسلام حين تخاذلت عنه الملوك و مظهر الايمان

بك قد أعز الله حزب جنوده و أذل حزب الكفر و الطغيان

و غضبت لله الذي أعطاك فص ل الحكم غضبة نأثر حران

و عند ما فتح صلاح الدين القدس تدفقت القوافي من الشعراء في هذا

الحدث العظيم ، فقال العماد الكاتب .

رأيت صلاح الدين أفضل من غدا وأشرف من أضحي وأكرم من أمسى

و قيل لنا في الأرض سبعة أبحر و لسنا نرى إلا أنامله الخمسا

ثم يقول : (١)

نزعت لباس الكفر عن قدس أرضها و ألبستها الدين الذي كشف اللبسا

و عادت لبيت الله أحكام دينه فلا بطركا أبقيت فيها و لا قسا

جرى بالذي تهوى القضاء و ظهرت ملائكة الرحمن أجنادك الحمسا

و قد مضى الأدب الاسلامي ينافح في الحروب الصليبية و يطرق مختلف

الميادين ، رافعاً راية الايمان ، وكانت موضوعاته تدور حول : الدعوة إلى الجهاد

و وصف المعارك ، و تثبيت العزائم و استنهاض الهمم ، و مديح قادة الاسلام

المجاهدين مدحاً يقوى النفوس ، و هجاء الكفار و المشركين الصليبيين ، و رثاء

الرجال الأبطال و رثاء الديار التي كانت تتساقط .

## سد الذرائع

مبحث مهم في أصول الفقه الاسلامي

فضيلة الأستاذ القاضي مجاهد الاسلام القاسمي

مدير مجلة « بحث و نظر » بالاردية

تعريب : محمد رحمت الله المظفر فوري

تحقيق الذريعة و كما تستعمل :

الذريعة : تستعمل في لغة العرب بمعنى « الوسيلة و السبب » .

يعنى كل شئ يسبب حصول شئ آخر .

و في اصطلاح الأصوليين : تعبر عن القول و العمل الذي يكون مباحاً

بنفسه و لكن يسبب معصية أو فعلاً حراماً نحو « البيع » فإنه مباح في

ذاته و لكن الاشتغال به عند النداء للصلوة يكون سبباً للصد عن السعي إلى

المسجد و ذلك ما أمر به الله جل و علا بقوله « إذا نودي للصلوة من يوم الجمعة

فاسعوا إلى ذكر الله و ذروا البيع » ( الجمعة ) .

و قد ذكر الشاطبي وهو يكشف حقيقة « الذريعة » .

« حقيقة الذرائع التوسل بما هو مصلحة إلى ما هو مفسدة » ( الموافقات

٤ / ١٩٨ .

و ذكر المحقق النزيل ابن رشد في مؤلفه : « إنها الأشياء التي ظاهرها

الاباحة و يتوسل بها إلى فعل المحذور ، ومعنى السد « الاغلاق » ( المقدمات

لابن رشد ص ١٩٧ ) .

فمعنى « سد الذرائع » هو المنع عن الأقوال و الأعمال التي ، و لو كانت

مباحة في حد ذاتها لكنها تكون سبباً لارتكاب فعل المحذور بالواسطة .

أحكام هذه الأنواع من الذرائع :

قد أجمعت العلماء و الفقهاء على النوع الأول بأنه ممنوع و محظور لأنه يوجب الفساد بالجزم ، و أشار إلى ذلك الامام القراني المالكي :

« بل الذرائع ثلاثة أقسام ، قسم أجمعت الأمة على سده و منعه و حسمه كحفر الآبار في طرق المسلمين فانه وسيلة إلى إهلاكهم فيها و كذلك إلقاء السم في أطعمتهم و سب الأصنام عند من يعلم من حاله أنه يسب الله تعالى عند سبها ( الفروق للقراني ٣٢/٢ ) .

و النوع الثاني من الذرائع التي تسبب المفسدة من طريق المصادفة فلا تمنع مثل الأول يقول الامام القراني :

« قسم أجمعت الأمة على عدم منعه و إنه ذريعة لا تسد وسيلة لا تحسم ، كالمنع من زراعة العنب خشية الخمر ، لم يقل به أحد كالمجاورة في البيوت خشية الزنا ، و النوع الثالث من الذرائع التي يغلب الظن على أنها توجب الفساد فكذلك قال فيها العلماء بأنه لا بد من حظرها ، لأن الظن الغالب بصورة عامة ينوب عن العلم القطعي الحتمي ، .

و كثيراً ما نرى أن ارتكاب مثل هذه الذرائع يؤدي إلى ارتكاب المنوعات و المحظورات ، و كما أجمعت الأمة على حظر النوع الأول أجمعت على النوع الثالث كذلك فيقول الامام القراني المالكي : « و ما يغلب على الظن إفضاؤه إلى المفسدة إن هذا القسم قد أجمع على سده كالمنع من حفر الآبار في طرق المسلمين إذا علم وقوعهم فيها أو ظن ، و إلقاء السم في أطعمتهم إذا علم أو ظن أنهم يأكلون منها فيهلكون ( الفروق ٢٦٦/٣ ) .

و أنكر ابن القيم في مؤلفه « إعلام الموقعين » إجماع الأمة على هذا المنع

ونقل عن الامام ابن العربي في كتاب « تهذيب الفروق » بأنه يراد بالفعل المحظور ما ثبت حظره و منعه بالنص ، ونصه « قال الامام ابن العربي في كتاب الاحكام و « قاعدة » الذريعة التي يجب سدها ما هو يؤدي من الأفعال المباحة إلى محظور منصوص عليه لا مطلق محظور ( تهذيب الفروق على حاشية الفروق للقراني ٤٤/٢ ) .

أقسام الذرائع :

و تنقسم الذرائع إلى أربعة أقسام كما ذكرها الشاطبي في الموافقات .

الأول : الذرائع التي تتوصل بها إلى المفسدة حتماً و ذلك مثل حفر البئر على باب أحد أو على طريق في ظلام الليل بحيث يتأكد بالوقوع فيه الخارجون من البيت .

الثاني : الذرائع التي يندر وجود المفسدة منها و يشذ نحو حفر البئر في الموضع الذي لا يكون طريقاً عاماً و لكن قد يقع فيه من لا يعرف ذلك في ظلام من الليل .

الثالث : الذرائع التي تسبب الخلل و الفساد في الغالب و تعتبر موجبة للفساد على الغالب نحو : بيع الأسلحة و الأعداد المعركة مع الأعداء و تجهيز السلاح إليهم في زمن الحرب ، فيظن على الغالب أنها سوف تستعمل ضد المسلمين .

و كذلك بيع العنب مع صانعي الخمر يفهم منه أنه يصنع منه الخمر حتماً . القسم الرابع : الذرائع التي ربما توجب الفساد و قد لا توجب و لكن لا تندر كليا ، مثل بعض أنواع البيوع التي قد توجب الربا و لكن لا تكثر ذلك ولا تندر .

الأمور السيئة في عينها و لكن في رد فعل له قد يسب الله عز شأنه فيكون من أكبر سيئة و أعظم خطيئة .

و لذلك منع القرآن هذه الذريعة التي يتوصل بها إلى الشر .

٢- قد نهى في الحديث النبوي ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس و غروبها و الغرض الاصيل منه هو الصد عن المماثلة من الكفار ، و هذه المماثلة تتحقق من السجدة في هذه الاوقات .

٣- و كذلك حيز عن جمع العممة و بنت الأخ و الخالة ، و بنت الأخت في النكاح ، لأن ذلك يوجب قطيعة الرحم ، و كذلك نهى رسول الله ﷺ الدائن أن يقبل الهدية من المديون ، لأنه بذلك يترجع جانب الانتفاع من الدين .

لم يمنع الخليفة الثاني عمر الفاروق رضی الله تعالى عنه عن الصلاة عند الشجر الذي تحققت بيعة الرضوان عنده فحسب بل إنه قطع ذلك الشجر لأنه يخاف من هذا العمل المباح عودة عبادة الأوثان و الأصنام القديمة فقال الخليفة : « أراكم أيها الناس رجعتم إلى العزى ، ألا لا أوتي منذ اليوم بأحد عاد مثلها إلا قتلته بالسيف كما يقتل المرتد ثم أمر بها فقطعت » .

٤- ثمرة إيقاع الطلاق في مرض الموت تحريم المرأة من الارث ، واذلك أقره عثمان رضی الله عنه لزوجته عبد الرحمن بن عوف رضی الله عنه المطلقة أنها تستحق الارث بالرغم أن عدتها قد انقضت ، و قد أجاب عمر رضی الله عنه حينما سأله القاضي شريح : بانه إن مات الزوج قبل انقضاء عسدة المرأة فانها تستحق الارث .

و الواقع أن الطلاق الذي أباحه الشرع قد يوجب التحريم من الوراثة لوجود أحوال خاصة ، فالزوج و إن لم ينشده غاية و هدفاً و لكن فعله هذا

و نقل فيه خلاف الأئمة قائلًا : إن بعض الشافعية و ابن حزم روى عنهم الخلاف في هذا الصدد ( إعلام الموقعين ١٣٦/٣ ) .

و النوع الرابع من الذرائع و ذلك الذي لا تكثر المفسدة به ولا تندر بل ربما تحدث ، و قد اختلفت العلماء في هذا النوع من الذرائع بأنه محذور أم لا ؟ فذهب الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان و الامام الشافعي و ابن حزم إلى عدم حظر هذا النوع ، و ذلك لأن الفساد لا يغلب على الظن حينذاك و الاعتبار لغلبة الظن ، و يفرع من ذلك أن العقود و الأعمال التي لا تفضي إلى المفساد غالباً فلا تسد عنها .

و ذهب الامام مالك و الامام أحمد بن حنبل إلى أنه محذور كذلك ، و يستدلان أن ذلك الفعل ربما لا يبقى على أصالته - و هو الاباحة و الاذن - لكونه موجباً إلى المفسدة ، و نجد كثيراً من أمثاله و نظائره في الشرع نحو الخلوة مع المرأة الأجنبية ، و كذلك سفر المرأة مع الرجل الأجنبي ، إذا تأملنا في هذين المثالين فيتضح لنا أنه عندئذ لا يغلب على الظن خوف الفتنة و لا يندر بطريق كلي فربما تحدث ذلك و كثيراً ما لا تحدث ، و لكن الشريعة الاسلامية قد سدت عنها ، فقد علم من ذلك أن سد الذرائع و الوسائل في تلك الأحوال كذلك ، نظائر سد الذرائع في الأحكام الشرعية :

بعد أن عرفنا الذرائع و أقسامها و أحكامها بغاية من الإيجاز ينبغي لنا أن نذكر عدة نظائر روعي فيها تلك الأصول و هي كما يلي :

أما جاء في القرآن الكريم « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » ( سورة الأنعام ١٠٨ ) .

من المعروف أن الآلهة الباطلة باطلة في الواقع و ذمهم ليس من

يؤدي إلى ذلك ، و لذلك عدم أثر هذا الطلاق في باب الوراثة و ذلك عن طريق « سد الذريعة » .

و يتضح بعد شئ كثير من التبع و الاستقرار للكتب الفقهية أن الفقهاء العظام جميعهم يراعون أصول « سد الذرائع » ، رغماً من الخلاف في التعبيرات ، و أما اختلافهم في المقارنة فيما بين المصلحة و المفسدة فذلك على حدة .

و نعاني كثيراً من مثل هذه المسائل في حياتنا الفردية و الجماعية فيلزم علينا أن نخوض في بحور تلك الأصول لحل تلك الوقائع و الأحداث المتضارعة المعانية مثلاً « امرأة قد فقدت زوجها و لكنه قد ترك خلفه من الأموال التي تكفل المرأة بها ، فانها تقدم طلب التفريق لدى القاضي بعد ما انتظرت سبعة أو ثمانية أعوام ، فطبقاً للفقه المالكي تؤمر المرأة أن تنتظر أربعة أعوام كذلك بعد طلب التفريق .

و لكن القاضي إذا غلب على ظنه أن حكم الانتظار يلوث المرأة في المعصية التي شرعت الزوجية للانقاذ منها لاوان شبابها و فساد البيئة و الاجتماع المخلوط في المجتمع ، فللقاضي أن يفسخ نكاح المرأة على الفور بناءً على سد باب الفتنة و خشية من الزنا ، و نحو ذلك كثير من المسائل تحل في ضوء هذه الأصول و لذلك لا بد من إيمان النظر بغاية من الدقة و البراعة في دقائق الأصول ، ألا يكون ذلك موجباً لهدم بناء الدين بوضع الفساد موضع الصلاح و عكسه كذلك و بدون تعيين القيمة الصحيحة للمصلحة و المفسدة .

فاستعمال هذه الأصول بدون الشعور الفقهي الصحيح قد يفضي إلى الفساد الذي لا بد من سد بابيه كذلك ، و بالله التوفيق .

اللهم فقهننا في الدين ، اللهم علما ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً و عملاً يا أرحم الراحمين .

## المستقبل للمسلمين

واضح رشيد الندوي

كان الاسلام و الوطن الاسلامي في خطر دائم خلال زحف الاستعمار الأوربي فكانت تسقط الدول الاسلامية كأوراق الخريف و يستولى عليها المستعمرون ، و يستعبدون سكانها ، وينهبون ثراها ، و يستغلون مواهبها الطبيعية و يزورون تاريخها ، و يفرضون عليها قوانينهم الاستبدادية ، و يقهرون شعوبها بقوة السلاح ، و بقوة القانون ، غيروا فيها كل ما يمت إلى الماضي ، و إلى خصائص البلد بصلة ، ثم اعتدوا على الاسلام ، فكان الاسلام في خطر ، يشن الأعداء عليه حملة شعواء ، كأن الاسلام في قفص الاتهام ، يعتدى على تاريخه ، و تعاليمه ، و لا تستثنى المقدسات كالقرآن و الحديث النبوي الشريف ، و السنة من الاتهام ، و الطعن فيه ، و صور المعتدون الاسلام كجرم ملاء الأرض فساداً ، و روجوا الأباطيل عن الشخصيات الاسلامية ، و كانت السيرة النبوية كدرية توجه إليها الطعنات ، يستهدفها كل من يمسك القلم سواء منهم من كان متعلماً و من كان غير متعلم ، و من درس السيرة ، و من لم يدرس السيرة ، وإنما بني حكمه على ما سمع من الشائعات ، و القصص المزورة من آباءه و أجداده المذعورين بالانتصارات الاسلامية .

كان ذلك زمناً كان الاسلام و بلاد الاسلام فيه في خطر ، و كان يخشى في ذلك الزمن أن الاسلام الذي يتعرض لهذه الاعتداءات قد لا يخرج من هذه الظلمات ، بوجه المنير ، و قد كانت جميع القرائن تدل على أن العالم الاسلامي سيفقد شخصيته الاسلامية و أن الدول العربية تفقد عروبته ، بل تقطع انتماءها إلى الماضي ، و صلتها بالاسلام ، نظراً للعواصف الهوجاء التي كانت تهب في ذلك الوقت ، و لمعرفة مدى خطورة الوضع و ضخامة المخططات و النوايا العدوانية نعرض ثلاثة بيانات :

قال هاملتون جب ١٩٣٤م : نستطيع أن نقول حسب سير الأمور الآن أن العالم الاسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينياً في كل مظاهر حياته .  
وقال زويمر : « إن انتصار الاستعمار الحقيقي هو هدم الوحدة الاسلامية ،

و إحلال القومية محلها ، و قال كرومر : « جئت لآخو ثلاثا ، القرآن ، والكعبة ، و الأزهر ، و قال لينن : إن البروليتارى اليوم يؤيد الاشتراكية التي تتوسل العلم لمكافحة الانحرافات الدينية وتجريد العامل من الايمان بعبارة ما بعد الحياة . عانى العالم الاسلامي ما عانى في عهد الحكم الأوربي ، و الحكومات التي قامت بعد جلاء القوات الأجنبية ، التي واصلت حركة التغريب ، و ربطت العالم الاسلامي بالحضارة الأوربية و طمس معالم التاريخ الاسلامي ، و الشخصية الاسلامية ، و صدرت في هذا العصر كتابات ضد الدين و القيم الاسلامية و تمجيد الكفر و الاباحية في الاخلاق ما لا يوجد له نظير ، و أطلقت الحكومات لمثل هؤلاء الكتاب كل حرية ، و عاش المسلمون في بلادهم كما تعيش الاقليات ، يواجهون الاضطهاد ، و يسد جميع منافذ فكرهم ، و ازداد الوضع عنفا و ارهابا بتغلغل الاشتراكية التي قامت على أساس القمع ، و تكيم الافواه ، و نظام المخابرات ، و كانت أكثر إرهابا من الاستعمار الغربي و أكثر عداء للدين و حقداً له و هجوما على المشاعر الدينية ، كان ذلك أيضاً فترة جرجة قضاهها العالم الاسلامي ثم انقضت . بعد جميع التضيقات التي تعرض لها سكان الدول الاسلامية الاشتراكية وبعد كل ما واجهوه من تشريد ، و اعتقال ، و تعذيب ، و قمع حرية ، أدركوا أن الاشتراكية التي تحملوا من أجلها الشدائد في وعد المستقبل الباهر تواجه المطاردة في الدول التي صدرتها إلى الدول الاسلامية و يقف الاشتراكيون أنفسهم في عدد من الدول الاشتراكية في قفص الاتهام بل يواجهون رصاصات الثأرين عليهم .

والآن تدل الآباء الاخيرة أن الحزب الشيوعي يفقد سيطرته في الاتحاد السوفيتي نفسه ، و تواجه القيادة العليا في تلك البلاد تحديات خطيرة لها ، و تستمر الثورة على الاشتراكية و النظام الاشتراكي ، و كاد عهد الحكم الاشتراكي يعتبر من العهود المظلمة . إن هذا التطور أكبر حدث بعد انقضاء عهد الاستعمار الأوربي و تحرير البلدان الخاضعة له ، و يعنى ذلك سقوط قاعة و اندحار قوة ثانية أو معسكرتان . رغم كل جهود الكتلة الغربية الصليبية المدعومة بقوة الاستعمار ، و الاستشراق ، و جهود الكتلة الاشتراكية المعادية للدين تتقدم الوحدة

الاسلامية إلى طور جديد ، فقد برز في العالم نوع من المنبر الاسلامي ، و وجدت قناة إسلامية للعمل ، و مهما تكن من خلاقات المناهج ، و الولاءات للدول الكبرى ، و المصالح الاقتصادية و السياسية ، فإن الدول الاسلامية المنتشرة في قارات العالم المختلفة تتكاتف و تتعاضد إلى حد كبير لحل المشاكل المشتركة ، و تعمل منظمة المؤتمر الاسلامي دوراً رائداً في ترصيف القوة الاسلامية المتشعبة ، و لولا أنانيات بعض القادة لكانت المنظمة في موقف أفضل لعرض القوة الاسلامية .

إن مثل هذه المنظمات التي تشارك فيها دول إسلامية مختلفة تشكل وحدة إسلامية و تتيح فرصة للتضامن الاسلامي ، و تنسيق جهود البناء ، و حيث إنها تمثل الحكومات فإنها تحمل وزناً وثقلاً ، و لصوتها قوة و وقع ، فإن توسع نطاق هذه المنظمة و زادت فعاليتها و أتاحت لها وسائل للمشاركة العملية في الجهود التي تبذل في مختلف أنحاء العالم الاسلامي لحل القضايا التي تستنزف قوة المسلمين ، كمشكلة اللاجئين ، و المشردين ، و صيانة المقدسات الاسلامية ، و الدفاع عن الاقليات الاسلامية ، و حل مشاكلها ، بوسائل إيجابية لا تحدث الشحنة أو التدخل السافر في الشؤون الداخلية ، و دعم الدول الضعيفة اقتصادياً ، و تقديم معونات في مجال التعليم و الصناعة ، فإن فعالية المنظمة بهذا الطريق تأتي بخير كثير للعالم الاسلامي ، و ذلك على أساس التكافل ، فإن كل بلد من البلدان الاسلامية يحمل فائضاً أو خبرة في مجال يمكن أن يساعد بها البلد الآخر .

إن هذه الوحدة الطوعية أفضل من الوحدة العملية الاسمية التي توجد الشحنة و الأحقاد ، و الصراعات ، بوجود مصالح متعارضة في كل بلد ، و لا يشك أحد أن الأيام تبدل حتمية التاريخ و حتمية الزمن ، و قد حدث ذلك في التاريخ مراراً ، و من يعتقد أن الدول الكبرى التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية ستبقى إنما يعيش في جهل عن التاريخ ، و قد بدأت آثار تشتت هذه الكتلة الكبرى ، قبل ظهور تشتت تلك الكتلة القديمة ، و تظهر آثار امكانيات ظهور مجموعات جديدة ، فإذا انتهزت الدول الاسلامية هذه الفرصة ، و تقدمت متناسية لفروقها و مصالحها فإنها في خير موقف لتلعب دورها المرتقب . و تلك الأيام نداؤها بين الناس .

## مؤتمر تعليمي في الجامعة المحمدية بماليغاؤن

عقدت الجامعة المحمدية بمدينة ماليغاؤن بولاية مهاراشتر ، مؤتمراً تعليمياً دعى إليه المعنيون بالتعليم و التربية الاسلامية من العلماء و أمناء المدارس و الجامعات الاسلامية في الهند ، و ذلك في الفترة ما بين ٥ - ٧ / رجب ١٤١٠ هـ ( ٣ - ٤ / فبراير ١٩٩٠ م ) و قد كان لي شرف المشاركة في هذا المؤتمر على دعوة من فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوي أمين عام الجامعة المحمدية . لقد كانت الجلسة الأولى للمؤتمر - بعد الجلسة الافتتاحية - خاصة بموضوع : تطوير المنهج الدراسي في مدارس الهند الاسلامية و الحاجة إلى منهج تعليمي جديد ، و قد رأس هذه الجلسة فضيلة الدكتور عبد الحفيظ السلفي رئيس دار العلوم الاحمدية السلفية في لهريا سرائي بمدينة دربندة بولاية بهار ، أسهم فيها عدد من المحاضرين بكلماتهم ، و أبدوا مرئياتهم نحو الموضوع في جو من الانفتاح و الحرية ، و قد أقيمت كلمة حول الموضوع و أكدت فيها أن تطوير المنهج الدراسي في مدارس و جامعات الهند الاسلامية و حاجة أكيدة لا مناص منها ، خاصة و إن مسابرة المسلمين مع العصر لا تتحقق ما لم نركز على تحقيق هذه الحاجة ، و بذلك تتمكن من القيام باعداد جيل مشرف من علماء الاسلام يواجهون تحديات العصر و يردون عليها في ضوء الاسلام ، و يتولون بناء الانسان المطلوب الذي يمثل الاسلام بمفاهيمه و مناحيه الكاملة .

هذه الجامعة أسسها فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوي منذ مدة يسيرة ، في أرض واسعة جداً خارج المدينة ، و قد أقام فيها كلية خاصة بالطب العربي ، على مستوى عصرى تحتوى على مستشفى و كلية ، و مركز للبحوث و دراسة العقاقير و النباتات ، و الكلية في تقدم و اتساع مطرد ، يرجى أن تقوم بدور مهم في إعطاء منحنى جديد في دراسة الطب على أساس طبيعى خالص ، باذن الله تعالى .

نبارك هذه الخطوة المهمة في مجال التعليم في الهند ، و نهنئ القائمين على هذه الجامعة الكبيرة .

## في جامعة كاشف العلوم بمدينة أورنغ آباد

لقد كان فضيلة الشيخ رياض الدين الندوي أمين عام جامعة كاشف العلوم بمدينة أورنغ آباد بولاية مهاراشتر الهند ، من المشاركين في مؤتمر الجامعة المحمدية ، و قد طلب مني أن أزور أورنغ آباد مع نهاية برنامجي في المؤتمر ، و قد سمح لي فضيلة الشيخ مختار أحمد الندوي بذلك برحابة صدر ، فوصلت إلى أورنغ آباد وهي تبعد عن ماليغاؤن نحو ١٢٥ كيلو متراً ، و رغم زيارتي لهذه الجامعة عدة مرات خامرني سرور غريب عند ما زرتها لهذه المرة ، و تلقيت من المسؤولين و الأساتذة و الطلبة و اعضاء المجلس التنفيذي للجامعة ترحاباً كبيراً ، و لقد عقد اتحاد الطلبة في الجامعة حفلة بمناسبة توزيع الجوائز للسابقات الخطائية و النشاطات التعليمية الأخرى ، بعد صلاة العشاء ، حضرها أعضاء الجامعة و وجهاء البلد عدا طلاب الجامعة و الأساتذة الكرام ، قام فيها الطلاب بمظاهرات خطائية بتوجيه من أساتذتهم ، و كانت لي شرف الاسهام في الحفلة بكلمة ارتجلتها على وحي من المناسبة حول التعليم و بيان فضيلة العلم ، و ما للعلم من دور رائد في توجيه الانسان و رفع قيمته في الدين و الدنيا ، و في بناء السيرة على أسس من الفضائل الخلقية ، و القيم الايمانية ، و تمثيل الحياة الاسلامية الصحيحة في المجتمعات الانسانية ، و كل ذلك في ضوء الكتاب و السنة و التاريخ الاسلامي .

جامعة كاشف العلوم من الفروع الممتازة لجامعة ندوة العلماء ، و المسئولون عنها مخلصون يبذلون مجهوداتهم ليل نهار في توسعة شئونها و إنجاز مشاريعها الانشائية ، و هم جديرون بالتعاون و مشاريع الجامعة أحق بالدعم و الاعتناء .

أمينها العام فضيلة الشيخ رياض الدين الندوي ، و رئيس هيئة التدريس فضيلة الشيخ مجيب الدين القاسمي ، و من الأساتذة البارزين الأستاذ محمد صدر الحسن الندوي مبعوث دار الافتاء بالرياض ، و الأستاذ عبد القدير مبعوثها كذلك .

نرجو للجامعة كل ازدهار و تقدم و من المحسنين الكرام كل دعم و تشجيع .

## جامعة سراج العلوم بونديهار

من المؤسسات الاسلامية التي تلعب دورها في مجال التعليم و التربية و الدعوة و الارشاد - جامعة سراج العلوم بونديهار - الواقعة في شمال الهند التي تأسست عام ١٩٠٧م بيد الشيخ المحدث العلامة / عبد الرحمن المباركفوري صاحب تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى، وهي منذ تأسيسها تلعب دورا هاما في تعليم أبناء المسلمين و تربيتهم كما أنها تعتبر مركزاً عظيماً للدعوة و الافتاء و الارشاد .

مراحل التعليم و الأقسام التابعة للجامعة :

- ١- الابتدائية ٢- الثانوية ٣- العالمية ٤- الفضيلة ٥- قسم تحفيظ القرآن الكريم ٦- مدرسة البنات ٧- قسم الدعوة و الارشاد ٨- قسم الافتاء ٩- عدة مدارس تابعة للجامعة .

مجانبة التعليم و التسهيلات الأخرى :

والجامعة توفر الدراسة مجاناً و تكفل للطلاب - و عددهم حوالى ٨٠٠ طالب - بجميع ما يحتاجون إليه من المأكل و الملبس و العلاج و ما إلى ذلك و تعير الكتب الدراسية لهم كما تمنح الجامعة لجميع طلاب قسم تحفيظ القرآن و الطلاب الفقراء من سائر الاقسام مكافأة شهرية و تمنح جوائز تشجيعية في المناسبات العديدة .

خدمات الجامعة في مجال الدعوة و الارشاد :

الجامعة تعد مركزاً عظيماً تتبعه عدة مدارس إسلامية كما أنها تشرف على مساجد شتى و تقوم بعقد حفلات أسبوعية و شهرية و نصف سنوية للدعوة و الارشاد .

ميزانية الجامعة :

أما ميزانية الجامعة للعام الدراسى الجارى فهي ١٠٧٥٠٠٠ ( مليون وخمسة و سبعون ألف روبية هندية ) .

و قد زار وفد ندوة العلماء هذه الجامعة منذ شهرين فقط ، و قام بحملة تفقدية لأقسامها و نشاطاتها ، وهي من الجامعات الاسلامية في الهند التي تحتاج إلى تعاون أصحاب الخير في دعم مشاريعها الانشائية و التربوية ، نرجو أن يتكرم أصحاب الخير بالتعاون الخالص لها .

## الجامعة الاسلامية في مدينة باتكل بولاية كراتاكا

قدر لى أن أزور الجامعة الاسلامية في مدينة باتكل في من شهر رجب ١٤١٠هـ الموافق ٥/ فبراير ١٩٩٠م كمبعوث إليها من جامعة ندوة العلماء ، ذاك أن الجامعة الاسلامية في باتكل أحد فروع ندوة العلماء في جنوب الهند ، ولها مكانة فريدة بين مدارس و جامعات الهند الاسلامية في الجنوب .

وقد كان الغرض الرئيسى من هذه الزيارة عيادة فضيلة الشيخ الحاج محى الدين منيرى أمين عام هذه الجامعة و أحد مؤسسيها ، حيث إنه كان مريضاً منذ مدة ، و لكن الله سبحانه كتب له الشفاء إلى حد كبير ، و استطاع بمشيئته أن يتابع أعماله و مسؤولياته رغم النقاهة و ضعف الصحة .

وانتهزت فرصة حضوري في مؤتمر التعليم بالجامعة المحمدية بمالغاؤن و سافرت إلى باتكل من أورنغ آباد بطريق بمبائى ، و لما وصلت إلى مطار منغور استقبلنى لفيف من اخوان الجامعة من بينهم الأخ الأستاذ محمد سعيد دامودى و الأستاذ عبد الحميد و الأخ محمد شعيب الندوى ، و تابعنا المسير على سيارة خاصة إلى مقر الجامعة الاسلامية الذى يبعد من المطار ١٤٥/ك م ، و وصلنا قبل زيارة الجامعة إلى منزل فضيلة الحاج الشيخ منيرى حفظه الله ، و كان ينتظرنا بقارغ الصبر ، فرحب بنا أحر ترجيب و فرح بهذه الزيارة أشد الفرح حيث إن دلائل الفرح كانت بادية على وجهه ، و كأنه لم يكن به مساس من المرض ، و حمدنا الله سبحانه على حاله الصحية ، و قد اجتمع كثير من المحبين و الاخوة الكرام في منزله ، و رحب بنا هناك الدكتور على ملبا عضو المجلس التنفيذى للجامعة و غيره من وجهاء البلد ، و كلهم استبشروا بزيارتى لهم و للجامعة ، فله الحمد .

و استقبلنى في الجامعة الشيخ محمد فاروق الندوى عميد الجامعة ، و جميع الأساتذة و المدرسين و الطلبة الكرام ، و وضعوا لى برنامجاً للقاءات و المحاضرات و الخطب و المناسبات الدينية الأخرى و زيارة المدارس و المعاهد و المؤسسات الدينية ، استغرق ذلك أربعة أيام كاملة ، و قد بدأنا بالقاء كلية في حفل عقده الطلاب

في الجامعة ، وقرروا لي محاضرات كل يوم بعد صلاة العشاء في أحد جوامع البلد الكبيرة للجماهير المسلمة ، وكذلك شرفوني باللقاء مع أعضاء المجلس التنفيذي والتحدث إليهم حول المسؤولية التي يتحملونها في سبيل التعليم والتربية ، ونظموا لي لقاءً جامعاً مع الأساتذة والمدرسين والحديث معهم في الشؤون التعليمية والشعور بالمسؤولية الملقاة على أكتافهم ، وكانت مناسبة جميلة للاجتماع مع الطلبة المتخرجين من دار تحفيظ القرآن الكريم في الجامعة في حفل خاص عقد بهذه المناسبة ، وقد استمعنا إلى قراءات للقرآن الكريم ، جميلة شجية ، وفقى الله تعالى لالقاء كلية بالمناسبة عن القرآن الكريم وأهمية تحفيظه .

وقد زرت في أحد الأيام مدرسة تحفيظ القرآن الكريم ، ومعهد الجامعة الابتدائي والمتوسط ، وجامعة الصالحات ، حيث تجولنا في الصفوف ولقينا الأساتذة والمسؤولين وفي جامعة الصالحات أقيمت كلية إلى الطالبات والمدرسات . كما عقد طلاب الجامعة حفلة بمناسبة توديع المتخرجين من الجامعة ، وكانت مناسبة مشيرة حضرها أعضاء المجلس التنفيذي للجامعة ووجهاء البلد كذلك ، وكانت لي فيها كلمة خاصة بالمتخرجين والطلاب ، وفقى الله إلى إبداء مشاعري عن طريقها نحو عملية التعليم والتربية وما تتطلبه من بصيرة ، وسعة أفق ، وإطلاع على الأوضاع .

وكانت لي جولة للاطلاع على نشاطات الجامعة التعليمية والتربوية ، وقد زرت بعض الفصول الدراسية وقضيت وقتاً مع الطلاب ، وطلبوا مني تدريس مادة الأدب العربي في السنة الرابعة الأخيرة للعالمية ، بكلية الشريعة ، فسعدت بذلك ، وكذلك زرنا بعض فروع الجامعة في المناطق المجاورة ، ولقينا هناك الأساتذة والطلاب والمسؤولين ، خاصة قرية « منديشور » و « تنغنمدى » . وقد رأيت في الجامعة تقدماً ملحوظاً من جميع النواحي ، فقد أقيمت مباني عديدة جميلة في فترة قليلة ، ولا تزال المشاريع الانشائية والتربوية تنال عناية المسؤولين ، نرجو للجامعة كل تقدم وازدهار ، وندعو الله تعالى أن يجعلها

معقلاً عظيماً للتعليم والتربية ، وكذلك كانت زيارة « كولاكو » المستشفى الكبير الذي أسسه للخدمات الطبية ، السرى الخالص مظفر كولا مبعث سرور كبير ، جزاه الله خيراً وتولاه بالرعاية .

هذا وأشكر القائمين على الجامعة واعتذر على إلبهم هذا الحديث الذي هو في غاية من الإيجاز ، وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه .

### تقرير موجز عن معسكر التدريب

الذي أقامه الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ، للطلبة الصينيين في باكستان

قام الاتحاد بتنظيم هذا المعسكر لمدة يومين ٢٣ ، ٢٤ نوفمبر ١٩٨٩م في اسلام آباد ، باكستان ، وكان موضوع المعسكر هو « الإسلام - مستقبلنا » وكان مقر المعسكر هو مسجد الكويت بالجامعة الإسلامية الدولية في اسلام آباد ، وقد شارك في المعسكر أكثر من ٩٠ طالب صيني من مؤسسات مختلفة في باكستان . وقد قام بافتتاح المعسكر البروفيسور سيد أحمد محمود عميد كلية اللغويات بالجامعة الإسلامية الدولية باسلام آباد ، وتحدث في المعسكر .

١- دكتور أنيس أحمد من الجامعة الإسلامية . ٢- عبد القادر ملا من بنجلاديش . ٣- سراج الحق رئيس اتحاد الطلبة الإسلامي باكستان . ٤- مولانا صيب حسن . ٥- أيوب منير الذي ناقش حول موضوعات عديدة . وكانت تلك الموضوعات هي :

— التوحيد وأثره على الحياة . — الحركة الإسلامية في العالم .  
— واجبات الشباب الإسلامي . — الإسلام مستقبلنا .

خلال المعسكر تمت مراعاة الأنظمة والآداب الإسلامية مراعاة صارمة وفي ختام المعسكر تمت جولة سياحية للتعرف على معالم مدينة اسلام آباد كما تم تقديم مجموعة من المطبوعات الإسلامية لكل مشارك ، وكان للبرنامج كله أثر عظيم لكل مشارك ، وقد اقترح العديد منهم الاستمرار في عمل هذه البرامج سنوياً .